Route Educational and Social Science Journal ISSN: 2148-5518

Volume 5(8), June 2018

Article History

Received/Geliş 18 /5/2018 | Accepted/ Kabul 5 /6/2018 | Available Online / Yayınlanma 10 /6/2018

# "التراث التاريخي والأثري ودوره في التعريف بتاريخ الجزائر"

أ.سليمة بودخانة

قسم التاريخ / جامعة باجي مختار عنابة / الجزائر

**الملخص**

تُعد الجزائر مهد حضاري يمتد عبر التاريخ تجسد بتراث حضاري غني وموروث ثقافي متنوع ينعكس من خلال العادات والتقاليد والآثار العمرانية والتي كانت من العوامل التي عرّفت بالمنطقة وتاريخها وسنحاول التعريف بالتراث التاريخي والأثري للجزائر وإبراز دوره بها من خلال عرض موضوع تاريخي يتنوع ما بين الجوانب الدينية التاريخية ودورها في الجذب السياحي والتعريف بتاريخ وإرث البلاد الحضاري الإنساني مع عرض جوانب من التاريخ الأثري كالقصور الجزائرية في المناطق الصحراوية التي مثلت موروث ثقافي حضاري وكان لها دور إقتصادي هام، ومن هنا ترتكز إشكالية موضوعنا حول أهم المحطات التاريخية والأثرية في الجزائر ودورها في التعريف بالبلاد وموروثها الإنساني العالمي سواءا الطرق الصوفية أم الآثار المادية كالقصور الجزائرية بالمناطق الصحراوية ودورها الحضاري في المحافظة على الهوية الوطنية والتراث المحلي.

نستنتج من هذه الدراسة أن للتراث التاريخي العمراني والديني والفكري دور في الحفاظ على تاريخ الجزائر الحضاري والتعريف به من خلال الكتابات التاريخية المتنوعة خاصة كتابات الرحلة التي رصدت دقائق الحياة الاجتماعية والاقتصادية هذه الأخيرة التي ساهمت فيها المؤسسات الدينية كالطريقة العيسوية التي كان لها دور إقتصادي عُرفت من خلاله على التراث الفكري والديني للجزائر وساهمت في خلق مصدر دخل محلي بالمساهمة في السياحة الدينية في تلك الفترة والشيئ نفسه بالنسبة لرحلات الحج الدينية للموروث الديني المسيحي لمدينة هيبون التاريخية ولبقايا القديس أوغسطين بها وإرثه التاريخي الإنساني العالمي الذي جذب الزوار ولا يزال في الوقت الحالي في رحلات سياحية لمدينة هيبون الأثرية وآثارها، كما كان للمدن الصحراوية على وجه الخصوص وعمرانها دور في التأريخ المحلي والتعريف بالموروث الثقافي والفكري الحضاري الجزائري إذ حظيت مجموعة من المدن بأفضلية في السياحة وكانت وجهة منشودة ساهمت في تعريف الآخر بالخصوصية للتاريخ المحلي إضافة إلى مساهمتها الإقتصادية، وبالتالي كان للموروث الثقافي والعمراني والفكري دور فعال في الحفاظ على الهوية المحلية وفي التعريف بالإرث الحضاري للمجتمع الجزائري والمساهمة في التأريخ المحلي الاجتماعي والاقتصادي والمحافظة على الهوية والإرث الحضاري للبلاد.

**الكلمات المفتاحية:** التراث التاريخي الديني، التراث الفكري الحضاري، التراث الأثري العمراني المحلي، الموروث الثقافي.

# "التراث التاريخي والأثري ودوره في التعريف بتاريخ الجزائر"

أ.سليمة بودخانة

**Abstract**

Algeria is a cultural cradle that stretches through history, embodies a rich cultural heritage and a diverse cultural heritage that is reflected through the customs, traditions and architectural monuments that were known to the region and its history. We will try to define the historical and archaeological heritage of Algeria and highlight its role by presenting a historical topic that varies between historical religious aspects and its role In the attractions and the definition of the history and heritage of the country's human civilization with the presentation of aspects of archaeological history such as the Algerian Palaces in the desert areas, which represented a cultural heritage and had an important economic role, and hence the problem is based on our most important Historical and archaeological stations in Algeria and its role in the definition of the country's global humanitarian heritage, whether Sufi or physical effects Palaces "Kassour" Algerian desert areas and their role in the cultural preservation of national identity and heritage.

The historical, cultural, religious and intellectual heritage of the city has a role in preserving Algeria's cultural history and introducing it through various historical writings, especially the writings of the journey that monitored the minutes of this social and economic life, which contributed to religious institutions such as the esoteric way, On the intellectual and religious heritage of Algeria and contributed to the creation of a source of local income by contributing to religious tourism in that period and the same for religious pilgrimages of the Christian religious heritage of the historic city of Hippo and the remains of St. Augustine and Its historical and international heritage, which attracted visitors and is currently in the tourist tours of the city of Hippo archaeological and its effects, as was the Saharan cities in particular and their role in the local history and the definition of cultural heritage and intellectual Algerian, where a number of cities have a preference in tourism and was a sought after destination In the definition of the other private to local history in addition to its economic contribution, and therefore the cultural heritage, urban and intellectual role in the maintenance of the local identity and the definition of the cultural heritage of Algerian society and contribute to the history of the local society Economic and preservation of the identity and cultural heritage of the country.

**المداخلة:**

تعتبر الجزائر مهد حضاري يمتد عبر التاريخ تجسد بتراث حضاري غني وموروث ثقافي متنوع ينعكس من خلال العادات والتقاليد والآثار العمرانية والتي كانت من العوامل التي عرّفت بالمنطقة وتاريخها وسنحاول التعريف بالتراث التاريخي والأثري للجزائر وإبراز دوره بها من خلال عرض موضوع تاريخي يتنوع ما بين الجوانب الدينية التاريخية ودورها في الجذب السياحي والتعريف بتاريخ وإرث البلاد الحضاري الإنساني مع عرض جوانب من التاريخ الأثري كالقصور الجزائرية في المناطق الصحراوية التي مثلت موروث ثقافي حضاري

وكان لها دور إقتصادي هام، ومن هنا ترتكز إشكالية موضوعنا حول أهم المحطات التاريخية والأثرية في الجزائر ودورها في التعريف بالبلاد وموروثها الإنساني العالمي سواءا الطرق الصوفية أم الآثار المادية كالقصور الجزائرية بالمناطق الصحراوية ودورها الحضاري في المحافظة على الهوية الوطنية والتراث المحلي.

**أولا: إستوغرافية المدن الجزائرية في الكتابات الأجنبية.**

**أ. بسكرة معلما في كتابات الفرنسيين ومزاراً للرحالة ومنتجعا صحيا.**

من بين أهم المدن الجزائرية التي حظيت بعديد الكتابات، يصفها الكاتب **"نيال أوليدون"** " Niel, Odilon " بجغرافيتها الطبيعية إذ يبدأ الوصف بواد القنطرة الذي يتميز بصخوره التي تملأ المكان، ويصف "قرية القنطرة" التاريخية بها كتابات نقشية تذكر بمرور "لواء أوقيست" وبها آثار تعود للحقبة الرومانية من أعمدة وبقايا أبنية، كما إكتسبت أهمية في الفترة الإسلامية وتنتشر بها المساجد، وهي واحة ذات أهمية إقتصادية بها النخيل والأشجار المثمرة كالمشمش وشُيدت على أطراف الطريق الموازي للواد مستوطنة فرنسية بها مزارع الزراعات المعاشية التي تحيط بالمنازل المستوية والمنحدرة في منظر جميل أين يوجد "فندق برترون" " Auberge Bertrand "، وفي أقاصي القرية نجد الطريق يضيق ويلتقي بممر منحوت بفعل المياه يطلق عليه العرب بـ " فم الصحراء" ثم يتحول مسار الطريق من الضفة اليمنى للضفة اليسرى للقنطرة على عمود واحد بعد ترميمه تغير إلى عمودين حديثي النشأة في الجهة الخالية [1]، أما في الوسط فنكتشف منظرا خلابا وفي اليمين والشمال يرتفع حائطين من الصخور بإرتفاع 60 متر علو والغطاء الغربي مغطى بغطاء نباتي ثري ومتنوع ثم فجأة يتغير المنظر في صورة صحراوية تفاجئ الزائر وهذه هي واحة القنطرة Herculis Le calceus .

ومن بين أهم الواحات الأخرى بالمنطقة التي تم وصفها والتعريف بها من قبل الكتاب والرحالة الفرنسيين نجد "واحة الوطاية" بمعنى الهضبة الممتدة على مدى البصر أي أنها لامتناهية وواسعة « La Plaine à perte de vue » بها الآثار ويوجد بها النخيل وتنتشر بها زراعة القطن وحقول الحبوب وبتربية النحل، كما تزدهر بها الصناعات النسيجية كحياكة البرنوس والحايك، ثم نجد ""مجاز الصفاء" آخر نقطة من الأوراس والتي تعطي منظر مميز من الأعلى تبدو فيه واحات بسكرة كنقاط خضراء، أما الواحات البعيدة فتبدو كنقاط سوداء وتمثل أبواب الصحراء[2] .

أما الرحالة والكاتب الفرنسي **"آلفريد بارودون"** Alfred Baraudon، فيورد لنا وصفا دقيقا ومفصلا لبسكرة إذ في مسار رحلته خصص فصلا كاملا لطريقه من قسنطينة إلى بسكرة وتحدث عن عادات وتقاليد السكان، فهو يرصد نمط المعيشة وأنواع

[1] Géographie de l'Algérie, Niel, Odilon, T1, (2e éd.) Böne, imprimerie Dagand, 1876 ,P.395.
[2] Géographie de l'Algérie ,Niel, Odilon.,T1,Op-cit, P.396.

الملكية ونظام إستغلال الأرض والحياة الإقتصادية للسكان العرب من تجارة وزراعة، فصورة القوافل المنتشرة على طول الطريق تنم على التجارة المزدهرة للسكان خاصة وأن المستوطنات الأوروبية في تجمعات منفصلة عن المدن العربية[3].

في وصفه لبسكرة يورد "آلفريد بارودون" صورة أسطورية للمدينة بدأ بالتسمية ومظاهر الواحة والشوارع والسكان والظواهر الإجتماعية، ومناخ المدينة التي تتميز بسماءها الأزرق وأشعة سشمسها الدافئة والحياة الهنيئة والممتعة وواحاتها الشرحة المشابهة لجنة عدن، فهي في نظره مكان للراحة تفصل الشمال عن الجنوب وتمثل محطة للراحة للتجار المتجهين لمجاهل الصحراء، فكما يسميها "بسكرة اللذيذة" " Biskra la délicieuse" التي تزخر بأوديتها الجارية وواحاتها الخضراء[4] .

وكان للكتابات الفرنسية ذكر دقيق ومفصل لواحات الزيبان وهي مقسمة لأربعة واحات زاب البسكرة والزاب الشرقي الذي ينقسم إلى قسمين والزاب القبلي والزاب الظهراوي[5].

والرحالة الزائر الأب **"جان إيرابيال"** L'Abbé Jean Hurabielle الذي كان كاتبا "للكاردينال لافيجري" قضى كزائر عدة عطل شتوية في بسكرة من 1889 -1890 ومن 1896 -1897، ومكث ستة أشهر بالمدينة وقد أصبحت بسكرة منتجعا شتويا يقصده مختلف السواح والزائرين من مختلف الدول الأوروبية وكانت تقام مخيمات تخييم منها مخيمات بريطانية وسويدية وهولندية وأمريكية وألمانية وفرنسية.

وكانت رحلته الأولى سنة 1889 في أول زيارة للمنطقة، وكانت القنطرة بنزلها "بارترون" تستقبل الزوار وتوفر كل إحتياجاتهم، وهي مصحة طبيعية بفضل مناخها الذي يعتبر بمثابة الشفاء من الأمراض والمكوث بها ينصح به، كما أن المنطقة تزخر بالآثار الرومانية "بخربال" و"البرج" على بعد 7 كلم من القنطرة والتي شيدت في عهد الإمبراطور "كاركلا" ( 211 -217 ) ، كما كان لطريق السكة الحديدية المشيدة سنة 1888 دور كبير في الجذب السياحي، كما أن قرى القنطرة بها أعداد كبيرة من أشجار النخيل وتنشط النسوة بالمنطقة في النسيج والحياكة أما الرجال في ممارس الزراعة من زراعة الحبوب والخضر[6].

وكانت رحلات الصيد المقامة في بسكرة من أهم عناصر الجذب للزوار إليها، إذ مثلت صورة للإسترخاء والمتعة والصيد، كرحلات صيد الغزلان والنعام الذي كانت تنظم برفقة الخيالة العرب المولعين بالصيد، ويستخدم نوع من كلاب الصيد المحلية المعروفة بإسم " السلوقي " Lévriers في عمليات صيد الغزلان، أما صيد النعام فيكون بمساعدة الخيالة الذين يجمعون النعام ويلاحقونه ويكون

[3]Algérie Et Tunisie Récit De Voyage Et Etudes ,Alfred Baraudon, , Paris, Librairie Plon, 1893, P.P.162, 167-168.

[4]Idem, P.P196-170.

[5] Idem, P.P,401-402.

[6] Au Pays du bleu, Biskra et les oasis environnantes, Hurabielle, Jean (Abbé), Paris, Augustin Challamel, éditeur 1899, P.P. 5-6, 9, 12, 14.

إستغلال ريش النعام وذهنها الذي يستخدم كدواء للأمراض ولحومها وكانت رحلات الصيد تحضر مسبقا ومثلت متعة خاصة للزوار، كما كان لكرم السكان المحليين الذين يستقبلون في خيامهم الزوار أثر واضح في تعلق الزوار بالمنطقة التي تداخلت وتنوعت صورها في مخيلاتهم[7].

كما كان للسباق دور كبير إذ كانت مؤسسة تربية الخيول ببسكرة تنظم دوريا سباق الخيول في واحة "بني مرة"، كما كان ينظم سباق المهري وأسسه "الكاردينال لافيجري" سنة 1890، وكانت تقدم مبالغ كبيرة للفائزين بالسباق كما كان سنة 1891 في سباق المهري الذي حاز صاحبه على قيمة مالية تقدر بـ 1000 فرنك فرنسي مقابل إجتيازه لمسافة 366 كلم من ورقلة إلى بسكرة في 36 ساعة و20 دقيقة فقط، ومسار هذا السباق من ورقلة أو تقرت إلى بسكرة، وكان السباق يدور في أجواء تقليدية ترافقها الموسيقى المحلية ويكون الخيالة بلباس تقليدي أصيل، كما كانت تقام رحلات الصيد في المنطقة التي كانت غنية بأنواع عديدة من الطيور البرية والحيوانات من أرانب برية وغزلان[8].

قام كذلك الرحالة **"دو فونتراس"** Armand Trumet De Fontarce وهو عضو في الجمعية الأنتروبولوجية مع إبنه موريس عام 1889 برحلة إلى البلاد قبل المهمة الوزارية الموكلة له في 16 ديسمبر 1890 من قبل وزير التربية العمومية والجمعية الأنتروبولوجية لدراسة الآثار البونيقية والرومانية واليهودية والمسيحية، ثم قام برحلة أخرى شخصية عام 1895[9] .

في رحلته رصد الرحالة "دي فونتراس" عدة صور طوبوغرافية وسوسيو-ثقافية عن مدينة بسكرة ونشر هذه الرحلة في 10 سبتمبر 1896 ويصف الرحلة إلى بسكرة بالشيقة.

وكان الزوار يقتطعون تذاكر لبسكرة عبر القنطرة ويكون الوصول في وقت قصير من القنطرة عبر نفق أو نفقين للولوج للواحات الخضراء الواسعة، وتوجد في هذه الواحات قريتين عربيتين بمنظرهما الشرقي الجميل، ثم ينقطع المنظر قرابة ست ساعات وليلة كاملة أين يصلون إلى بسكرة، وفور الوصول يتغير المنظر إذ يتفاجئ الزوار بالمكان، كما يصف "دي فونتراس" بقوله: "...كنا نتصور أننا في مكان خال لكن وجدنا عند نزولنا من القطار مجموعة من العرب يتكلمون الفرنسية ويعرضون علينا حمل أمتعتنا كما في الدول الأكثر تحضرا،... وتوجهنا لنزل الصحراء ونقلتنا عربة ورافقنا المرشد العربي للنزل "شعبان" وهو يجيد التكلم بالفرنسية، ووضعنا برفقته برنامجا للرحلة، وكان النزل نظيفا وهادئا، وبعد العشاء أخذنا "شعبان" في جولة بدأناها من مقهى عربي أين حضرنا وكان المقهى مملوء بالعرب،..." .

[7] Les peuplades Kabyles et Les Tribus Nomades Du Sahara, Le Père Charmetant, , Montréal, Des Presses à Vapeur De La Minerve, 1875, P.26,27,28.

[8] Au Pays du bleu, Biskra et les oasis environnantes, Hurabielle, Jean (Abbé). ,Op-cit, P.P.89-90,92,94.

[9] Souvenirs d'Afrique, Algérie, journal de voyage, Tunisie ,Rumet de Fontarce, Armand,. Mission officielle, Bar-Sur-Seine, imprimerie V° C. Saillard , éditeur , 1896, P.6.

وتعددت الصور التي رصدها لنا الرحالة من خلال خرجته للمنطقة وعند عودته للمدينة والنزل نقل لنا صورة المكان، إذ كانت الغزلان تتجول في حديقة نزل بسكرة "الصحراء"، أما السوق فيوجد به سوق مغطى على الطابع الشرقي فيه مختلف السلع ،كما قام بزيارة ملكية السيد لوندون Landon التي أصبحت معلم في المدينة، وهي تبعد حوالي كيلومتر وهي حديقة كبيرة وجميلة بها أشجار النخيل والزان والكاليتوس وغيرها من الأنواع الأخرى والحمضيات من برتقال وليمون وبها مياه جارية بغزارة على طول السنة ويخدم بهذه الملكية عدد كبير من المزارعين، ولا زالت هذه الحديقة حتى يومنا هذا معلما يزوره زوار بسكرة، ثم يواصل رحلته الإستكشافية بزيارة قرية الزنوج أين يوجد مختلف الشرائح يتوزعون على طول أبواب بيوتهم وبعض النسوة ينسجن البرانس وكانت كل البيوت بائسة فهي مجرد أكواخ من الطين المجفف ،ثم قام برحلة إلى مجاز الصفا أين تبدأ الصحراء بعد بسكرة على بعد ساعة، حيث تتغير الطبيعة في منظر طبيعي جميل لبسكرة[10].

**ب . الأغواط مسار رحلة ومعلم للصحراء الجزائرية.**

الأغواط من المناطق السياحية المفضلة للزوار، كان حصار المدينة من قبل "الجنرال بيليسيي" le Général pélissier عام 1852 من الأحداث التي ميزت تاريخ الحملات العسكرية للتوسع الإستعماري في الجنوب، إذ سقطت المدينة يوم 4 ديسمبر 1852[11] وظل هذا الحدث متداولا بين الكتاب والزوار، وخلده الرسام الفرنسي المشهور "هوراس فارني" Horace Venet في لوحة عن سقوط الأغواط عام 1852[12] .

تقع الأغواط على بعد 448 كلم جنوب العاصمة وعلى علو 741 متر على مستوى البحر[13]، وهي مدينة عربية كبيرة وجميلة مركز لتجمع سكاني للأهالي مبنية على مرتفعين بمدرجين متقابلين، بها بساتين النخيل والأشجار المثمرة مسقية[14]، تضم غابة للنخيل وبها منازل مسورة مميزة البناء لكن عقب الإحتلال تغيرت ببناء ساحات وأحياء فرنسية [15]. كما حضيت مدينة الأغواط بإهتمام كبير من قبل سلطات الإحتلال الفرنسي، فالضابطين "كاريت" و"روزي" Carette et Rozet في حديثهما عن المصادر الجوفية للمياه وصفا الأغواط :"بالمدينة المهمة ومركز واحات القصور،... وتتلقى المياه من رافد يصب في واد الجدي.."، وهو مصدر أساسي للمياه بالأغواط و يحصل السكان على المياه الجوفية سواء بحفر الآبار أو من الأودية[16].

[10] Souvenirs d'Afrique, Algérie, Tunisie. Mission officielle, journal de voyage ,Rumet de Fontarce, Armand, , Op-cit, P.P. 51-53,57,59-62.
[11] Le Voyage de S.M L'Empreur NAPOLEON III En Algérie ,René De Saint-Félix, , Paris, Eug.Pick, De L'Isère, éditeur, 1865 ,P.70.
[12] Souvenir D'Alger ,J.Chalon, , Bruxelles, Librairie Classique, 1887, P.95.
[13]Guide Pratiques Conty, Algérie-Tunisie, Paris, Administration De Guides Conty, 1901, P.155.
[14]L'ouest de L'Algérie, Réseaux Exploités par la Compagnie de L'ouest -Algérien Lignes de L'ouest-Algérien et De la c[ie] Franco-Algérienne, Charles Lallemand, Paris, Challamel et c[ie] éditeurs, 1891, P.202,206.
[15] Guide Pratiques Conty, Algérie-Tunisie, Op-cit, P.159.
[16] L'Algérie, L'Univers ou Histoire et Description De Tous Les Peuples, De Leurs Religions, Mœurs, Coutumes,Etc,,Rozet et Carette, paris, Firman didot frères, éditeurs, 1850, P.150.

وتعتبر القصور والواحات مصادر أساسية للمياه الجوفية الدائمة رغم ندرة أو إنعدام التساقط في كثير الأحيان، وتستخدم في الشرب والري غير أن سلطات الإحتلال وخدمة للمراكز العسكرية كان لزاما عليها حفر آبار لتغطية إحتياجاتها من المياه[17].

كما تجلت الأهمية الإقتصادية في التجارة، إذ مثلت واحات الأغواط مراكز للتبادل التجاري لمنتجات الصحراء ومنتجات المناطق الشمالية للبلاد، وكانت هذه الواحات مركز التجارة بين المنطقتين[18] فكانت شحنات السلع القادمة من الأغواط تجلب إهتمام الزوار[19].

وتنطلق من الأغواط عدة طرق تجارية بإتجاه الصحراء لنقل التمور والأنسجة الصوفية وريش النعام وغيرها من السلع مما يجعل الأغواط مدينة ذات أهمية إقتصادية وتجارية محضة [20] .

كما تكمن أهمية المدينة في موقعها الإستراتيجي إذ يحدها من الشمال "جبال العمور" ومن الشرق "أولاد نايل" ومن الجنوب "بني ميزاب" ومن الغرب "قبائل الأغواط كسال"، وتضم مدن وقرى يسكنها عديد القبائل، ومن مدنها وقراها "الوطاية"، "تاجموت"، "الحويتة"، العسفاية"، "عين ماضي" ،" قصير الحيران"، ومن قبائلها "قبيلة العرابة" الكبرى، "قبيلة سيدي عطاالله" و"قبيلة الغزلية"[21].

كذلك كان إهتمام الفرنسيين بالمعادن والثروات فقام "أوكتاف لو كونت" Octave Le Comte وهو صيدلي عسكري بتحليل تربة الأغواط ودراسة الثروات الحيوانية والنباتية كالمواشي من أغنام وجمال بكل أنواعها والتمور، وتنوعت الدراسات حول تكيف الثروة الحيوانية مع الطبيعة الصحراوية، فكان البعض يعتبر الصحراء تخدم مصالح فرنسا وأوروبا بثرواتها[22].

**طريق الأغواط:** للأغواط عدة طرق مثلت معالم للرحالة والمسافرين وفي الوقت ذاته مثلت عصب الإقتصاد للتجارة العابر للصحراء، منها طريق السكة الحديدية الذي ينطلق من الجزائر العاصمة بإتجاه البليدة وينتهي عند الأغواط[23] ويرصد هذا الطريق مناظر خلابة تمثل نقاط جذب للسياح، إذ ترى المتيجة والشفة وجبال مدية المخضرة وجنوب بوغار والهضبة الكبيرة للجلفة وأخيرا الأغواط.

[17] L'Algérie En 1882,Le Colonel Noêllat, , Paris, Librairie Militaire De J.Dumaine, 1882, P.76,77.
[18] Géographie Elémentaire De L'Afrique Du Nord, (Maroc, Algérie, Tunisie),A.Gleyze, , Marseille, Librairie Ferran Jeune, 1913, P.121.
[19] Paul Eudel, Hivernage en Algérie, Bibliothèque Nationale, Paris, 1909,P.42.
[20] L'ouest de L'Algérie, Réseaux Exploités par la Compagnie de L'ouest -Algérien Lignes de L'ouest-Algérien et De la c[ie] Franco-Algérienne, ,Charles Lallemand, Op.cit,, P.201.
[21] Le Sahara Algérien Etudes Géographiques, Statistiques et Historique Sur La région Au Sud Des Etablissements Français, M.Le lieutenant –Colonel Daumas, Paris, Langlois et Leclercq,/,., P.16 ,17.
[22] L'Europe et Le Sahara, Jules Maistre, , Montpellier, Imprimerie De La Manufacture de La Charité, 1907, P.7,8,9.
[23] Les Routes De L'Afrique Septentrionale Au Soudan, Édouard Blanc, Édouard . Paris, Société De Géographie, 1890., P.14.

وتنطلق من الأغواط عدة طرق بإتجاه الصحراء جنوبا إلى واد ميزاب وورقلة وبإتجاه الشرق إلى بسكرة وأولاد نايل وبإتجاه الغرب إلى البيض وأولاد سيدي الشيخ، وهنا تكمن الأهمية الإستراتيجية للأغواط بطرقها التجارية التي تمثل عصب الإقتصاد بين المناطق الشمالية والجنوبية.

وأنفقت سلطات الإحتلال مبالغ طائلة لربط ومد الطرق بإتجاه الأغواط التي تعتبر منطقة إستراتيجية[24]، كما عرفت مجمل الواحات الموازية لهذه الطرق نموا إقتصاديا وفكا للعزلة وساهمت في ربط عدة واحات بعضها البعض مما رفع من نسب المبادلات بينهم[25]، وهذه الطرق سهلت السفر إلى الصحراء الشرقية وفتحت الباب للزوار من مختلف الفئات الإجتماعية[26].

والمعروف أنه كانت هنالك ثلاث طرق رئيسية للسكك الحديدية تربط المناطق الشمالية بالصحراء طريق ينطلق من قسنطينة بإتجاه بسكرة وطريق يربط العاصمة بالأغواط وطريق ثالث يربط وهران ببشار، ومن بين هذه الطرق الثلاث طريق العاصمة–الأغواط هو الأكثر أهمية ويمر بغرداية والمنيعة[27]، وبتفصيل أكثر طريق العاصمة– الأغواط عبر المدية يُعرف بالطريق رقم 8، وطريق الأغواط – بوسعادة يعرف بالطريق رقم 9 وطريق الأغواط– ورقلة الطريق رقم 10[28].

والواقع أن طريق العاصمة– الأغواط قد تطور كثيرا بفضل توصيل السكة الحديدية إذ أصبحت الرحلة تستغرق أربعة أيام فقط نهاية القرن التاسع عشر في حين عام 1844 عند أول حملة عسكرية للمنطقة شهر ماي إستغرقت خمسة عشر يوما كما يبينها "الضابط دوماس" في كتابه عن الصحراء الجزائرية[29].

ساهم طريق السكة الحديدية الرابط بين العاصمة والأغواط في زيادة عدد الزوار، وكذلك نزل "السيلستان" Célestin ببوغار الذي يستقبل الزوار المتجهين للأغواط في سهولة زيارتها، فالمدينة "القصر" التي أسست عام 1629 كانت تستقطب الزوار مما نشط التجارة المحلية إذ كانت الساحات معبئة بالتجار الأغواطيين[30].

**صورة الأغواط في كتابات الرحلة:**

[24]L'ouest de L'Algérie, Réseaux Exploités par la Compagnie de L'ouest -Algérien Lignes de L'ouest-Algérien et De la c^ie Franco-Algérienne, Charles Lallemand, ,op-cit, , P.194,198.
[25]Au pays Du Bleu Biskra et Les oasis Environnantes, L'Abbé Jean Hurabielle, , Op-cit, P.156.
[26] La Route De Timmimoun Heures Algériennes, Léon Souguenet, , Bruxelles, Oscar Lamberty, éditeur, /, P.163.
[27] L'Europe et Le Sahara, Jules Maistre, Montpellier, Op-cit, P.3,4.
[28]Itinéraire De L'Algérie De La Tunisie Et De Tanger,Louis Piesse, Paris , Librairie Hachette Et c^ie, 1882, P.103,120,121.
[29]Le Sahara Algérien Etudes Géographiques, Statistiques et Historique Sur La région Au Sud Des Etablissements Français,, M.Le lieutenant –Colonel Daumas, Op-cit, P.16.
[30] Hivernage en Algérie,Paul Eudel, , Op-cit, P.316.

بالأغواط بساتين النخيل التي تتخللها الأشجار المثمرة من تين وخوخ ورمان وغيرها ،بها قبة "سيدي الحاج عيسى" إذ يردد الفرنسيين رؤيا هذا الشيخ عن قدوم الإحتلال الفرنسي للمنطقة وكانت المدينة على شكل قصور بها سبعمائة منزل مبنية بالطين المجفف بكل بيت ساحة داخلية وباب خارجي منخفض مسنودة بالبيوت المجاورة ومتراصة ببعضها البعض، ويعتبر هذا التصميم من البناءات مميز ويمثل "قصر بن سالم" نموذجا مميزا لهذا النوع من العمران ويمثل حصن بأربع بيوت كبيرة ذات طابقين مجتمعة حولها البيوت وتطل أسطحها على جزء مهم من المدينة وبه أربع مساجد وفندق وسوق مغلق للسلع .

والأغواط مقسمة إلى قسمين يسكن كل جزء فرع قبيلة تفصلهما ساحة بها النخيل، والقصر يحيط به صور بإرتفاع أربعة أمتار ومسور بدورين لتعزيز الحماية والتحصين يصل إرتفاعهما إلى ثمانية أمتار تتخللها أربعة أبواب.

كما أنه بالأغواط عدة أحياء منهارة كحي " أولاد زرين" الذي يعاني من الإهمال، وبعد أربعة عشر شهرا من الإحتلال الفرنسي بدأت معالم الوجود الفرنسي تبدو ببروز بناءات ذات طراز أوروبي كمنزل القائد الأعلى للدائرة وتم الإستيلاء على عدد كبير من بيوت الأهالي هيئت للضباط القوات والمعمرين المرافقين العاملين الطباخين، مما خلق صورة متداخلة بين الأهالي والمعمرين بأزياء محلية وأجنبية فأصبحت شوارع المدينة بمظهر غير تقليدي[31] .

كما كان للكاتب والرسام الفرنسي "أوجان فرومونتان" Eugène Fromentin رحلة لمدينة الأغواط إذ تحدث بإسهاب عنها، ويعتبر "أوجين فرومونتان" من أهم الشخصيات التي زارت البلاد وكتبت عنها، فكانت رحلته عام 1853 عنونها "صيف في الصحراء" بدأ الرحلة من المدية إلى الأغواط وصف طريق الرحلة لـ "بلاد العطش" كما يسميها، وصفا دقيقا منذ وصوله إلى مشارف الصحراء وإقترابه من الأغواط، إذ توقف في عدة نقاط يأخذ ملاحظات ويرسم لوحات للمنطقة، ففي بوغاري إستضافه القائد "سيدي الجيلالي" ووصف "الضيفة" وأشاد بكرم سكان الصحراء.

وصل الأغواط يوم 3 جوان وأول ما لاحظه هو المقبرة التي تتقدمها كما في كل المدن العربية تقع خارج الأسوار، ووصف المدينة بدقة وعبر عن إعجابه بعمرانها فهي مسورة بتحصينات تتخللها خضرة البساتين المنتشرة بكثرة[32].

وتكتسي هذه الرحلة أهمية علمية بما تحتويه من معلومات دقيقة تساهم في كتابة لتاريخ الإجتماعي لسكان واحة الأغواط

**ج . مدينة قسنطينة حاضرة الجزائر الثقافية والفكرية.**

تعتبر جل المدن الجزائرية كالجزائر العاصمة، وهران، مستغانم، سيدي بلعباس ، البليدة، فيليب فيل، بونة وغيرها مدن أوروبية في بناءها لكن مدينة قسنطينة حافظت على الطابع العربي الأصيل، وما يميزها الصخور المعلقة التي حصنتّها وجسورها التي مثلت معالم

[31] Les Français Dans Le Désert Journal D'une Expédition Aux Limites Du Sahara Algérien,,C.Trumelet, Paris, Garnier Frères, Libraires-éditeurs, 1863, P.410,411.

[32] Un Eté Dans Le Sahara ,Eugène Fromentin, ,Paris, Librairie Plon, 1856, P.10,16,89,100,105.

جغرافية، الزائر لها يلاحظ إنتشار الغربان والصقور، كما للمدينة دور إقتصادي إذ كانت قديما مخزنا للقمح وتعتبر أكبر سوق في البلاد، ومن جهة أخرى يمكن القول أن ما يميز قسنطينة كذلك القصبة والمتحف وقصر "أحمد باي" الذي يعتبر تحفة فنية خاصة حديقته المميزة[33].

وبمجرد دخولك للمدينة عند معبر الرمال تنجذب بالسكان فتجد الحضر بلباسهم الشرقي والبرانيس البيضاء والكراغلة بلباسهم المختلف واليهود في صورة إيحائية للوحات القديمة فالنساء يلبسن فساتين حريرية صفراء مطرزة بالذهب ويرتدين خلاخل فضية كبيرة في أرجلهن ،وترى بعضهم يركب على الأحمرة أو البغال والكل يتزاحم لعبور الوادي في صورة تتميز بالأصالة ،ويوجد في المدينة نزل أوروبا الذي تسيره إمرأة من الجنوب الفرنسي ويتميز بغرفه الموريسكية الجميلة، وعند التجول في المدينة تجد الحي اليهودي وبه بهو كالسرداب به محلات منخفضة وترى العرب ملفوفين ببرانيسهم وفي الصباح الباكر لا تصادف أي أوروبي بل العرب والقبائل والأتراك والكراغلة واليهود ، وبالوصول إلى باب القنطرة ونزولا إلى وادي الرمال يجذبك جسر كبير بطابقين معلق في الصخور وهذا المكان مذهل إذ تتعجب في السكان الأوائل الذين أسسوا هذه المدينة المعلقة وعاشوا فيها وتقابلك المنصورة كما تنتشر الطيور المفترسة بمختلف أنواعها ،والواقع أنها مدينة خلابة وكانت كل الجهات مزينة بالحدائق الغناء والإخضرار يغطي المدينة [34].

هذه المدينة التي تتميز بمنظرها الأصيل الإسلامي منازلها متلاصقة ومتراصة وكأنها شبه جزيرة يفصلها عن المناطق الأخرى خندق طبيعي بعمق 150 متر في الصخور وهذه الحفرة هي قاعدة وادي الرمال والذي أقام فيه الفرنسيون جسر رائع مبني فوق أنقاض الجسر الروماني والعربي والتي نرى أطلالها على عمق 25 متر وبالنظر إلى أسفل على عمق 110 متر ترى الطيور المفترسة تحوم في المكان والأعشاش التي تملأ الصخور وترى من بعيد البيوت العربية تحيط بها نباتات الآقاف والتين البربري ، ويتجه الطريق إلى باب القنطرة أين يوجد الشارع الرئيسي ونزل باريس[35] ،وما يجذب تنوع المارة واللباس من عرب ببرانيسهم ويهود بألبستهم التقليدية بألوانها الجذابة والأوروبيين من الجنسين بألبستهم العصرية بقمصان ومعاطف ملونة بالأزرق ومصبوغة ببعض الأصفر، وترى الصبايحية بمعاطفهم الحمراء والنساء الحضريات بالحايك ذا اللون الأزرق والأبيض كما تجد في الشوارع الأحصنة والأحمرة والبغال وتنتشر المحلات ويمكن تكوين هذه الصورة في أوقات الصباح قبالة المسرح اين تجد كل الفئات في المكان وكان المنظر رائعا من النزل المقابل للمكان وتنتشر البناءات العالية في المدينة ولزيارة المدينة يستلزم الصعود والهبوط لأن المدينة مبنية فوق صخرة منحدرة[36] .

[33]Notes et impressions de voyage D'Alger à Tunis, avril 1884-avril 1885,Leroy, A.-L., ,Paris,Adolphe Jourdan ,libraire éditeur, 1886,P.P.19- 20.

[34]Deux ans en Afrique ,Marcotte de Quivières, Ch., , Paris, Librairie Nouvelle,1855,P.P.80-86.

[35]Une Excursion Scientifique dans la Province de Constantine en 1880,Doumet–Adanson, Léon Gautier, , Relation, Paris, Imprimé par la Bibliothèque Nationale, 1880, P.P.34-35.

[36] Idem, P.36.

تتميز مدينة قسنطينة بدرجات الحرارة المنخفضة والتساقط تقع على علو 500 متر فهي مبنية على صخرة وتحيط بها الوديان والسيول وقمم جبالها مغطاة بالثلوج، وهذه المظاهر الطبيعية ميزت قسنطينة بالمناظر الرائعة ولقد حافظت المدينة على طابعها العربي بإمتياز إذ ينتشر العرب بكثرة في مختلف أحياء المدينة بلباسهم التقليدي ويعتبر الحي العربي من أهم الأحياء التي تستقبل الزوار من الأوروبيين[37] .

ويمتد تاريخ قسنطينة في التاريخ القديم بعمق أكثر من الجزائر العاصمة، كما تتميز بطابعها الشرقي الأصيل وبذلك فموقع المدينة المميز يجعل منها قلعة وحصن أكثر منها مدينة بسيطة شبهها القائد العربي الكبير "عقبة بن نافع" بعش الصقر، فهي فوق صخرة تصعد من الأرض في شكل معين غير متوازي طوله من 1200 إلى 1500 متر عرضه 900 متر أو يزيد منحني من الشمال إلى الجنوب مقسم بخندقين بطول 25 إلى 50 متر وتجري مياه وادي الرمال عبره، وعمق الجرف من الجهة الجنوبية 60 متر عند سيدي راشد، وبعمق 170 متر في الشمال عند سيدي مسيد وفي جهة الغرب كدية عاطي التي تربط المدينة بالعالم الخارجي، ويتم الولوج لمدينة عبر ثلاث مداخل هي باب القنطرة من جهة المنصورة وساحة الصخرة " لابراش" أو ساحة "فالي" من جهة كدية عاطي وعبر باب الجابية في الأسفل، وإنتشرت الطرق الجديدة كطريق الوطني الذي يصل إلى "ساحة فالي " يقسم المدينة إلى قسمين غير متوازيين الجهة اليمنى وبها الحي الفرنسي واليهودي والأسواق الخاصة بالأهالي، وفي الجهة اليسرى حيز مثلث محدود يمتد للحي العربي وتحيط به محلات ونزل فرنسية وفي إحدى جهاته يوجد "الجامع الكبير" بمنارته المحلية التقليدية ،ويعيش المجتمع في حركية كبيرة فالعرب يتجهون لرحبة الصوف لأشغالهم وهو الحي التجاري للأهالي به محلات للصناع والحرفيون والباعة والتجار والفرنسيين يتجهون لأشغالهم والعربات تنقل المسافرين لمحطة القطار، وتجد الحرفيون العرب يصنع بعضهم الأحذية التقليدية المطرزة والألبسة والبرانيس وبعضهم تمرس الدباغة والحدادة[38] .

ولمدينة قسنطينة ثلاث مداخل منها "باب الجديد" أو كما أطلق عليه الفرنسيون "باب الصخرة" وكذلك "باب فالي" وثان باب هو "باب الواد" في الجنوب الغربي والثالث "باب الجابية" الذي يؤدي لوادي الرمال وأطلق عليه الفرنسيون "باب القنطرة" الباب الوحيد في شرق المدينة، كما تتميز المدينة بالقصبة وهي من الأحياء الحيوية في المدينة وتقع شمالا في المكان الأكثر إرتفاعا في المدينة كالقلعة، وفي عام 1844 لم يتبقى إلا القليل من أطلال وبقايا القصبة إذ كانت كل المناطق المرتفعة من المدينة أطلال وبقايا ينتشر بها العمال ففي أعلى نقطة من القصبة بنا الفرنسيون مستشفى يأوي 1200 مريض[39].

**ثانيا: السياحة الدينية ودورها بالتعريف بتاريخ الجزائر المحلي.**

[37]Souvenirs d'Afrique, Algérie, Tunisie. Mission officielle ,Rumet de Fontarce, Armand, , Op.cit, P.P.46-47.

[38] Algérie Et Tunisie Récit De Voyage Et Etudes ,Alfred Baraudon, , Paris, Librairie Plon, 1893, P.P.113-117.

[39]Voyage en Algérie : études africaines, Poujoulat, Jean-Joseph-François , Paris, (Nouvelle édition) , Librairie d'éducation ,1868,P.P.240,243-244.

**أ.المرابطة لالة زينب من أعلام التصوف بالمسيلة".**

تزخر المسيلة بأعلام مثلوا رموزا في التاريخ المحلي للمنطقة والتاريخ الوطني، ولم تقتصر صناعة التاريخ على رجال المسيلة بل كان لنساءها دور فعال برزت من خلاله المرأة في مجالات كانت حكرا على الرجال بالتوارث والعادات والأعراف، فكان للمرأة بالمسيلة أثر في التصوف والمرابطة تمثل في المرابطة لالة زينب بزاوية الهامل التي عرفت في المنطقة وإمتدت سمعتها إلى كامل أنحاء البلاد وتعددت الكتابات الفرنسية التي إهتمت بها كظاهرة نادرة في البلاد في وقت كانت فيه أوضاع المرأة الثقافية والفكرية مغايرة عموما بالمقارنة مع المرابطة "لالة زينب" التي تميزت بالعلم وقادت الزاوية وتمتعت بالسلطة الروحية بالمنطقة.

**صورة المرابطة لالة زينب رمز التصوف بالمسيلة في كتابات الفرنسيين.**

نعرض رحلة "قالون" إلى الزاوية والمرابطة "لالة زينب" وقام بهذه الرحلة في 24 جانفي 1897 كان عددهم 12 شخصا قاموا برحلة للجنوب الجزائري ، رافقه في الرحلة صديقه الرسام قيوشان ,M. Guiauchain ونقل صورا دقيقة عن المنطقة والسكان، ونشر "قالون" الرحلة في مارس 1899 وأهداها للمرابطة "لالة زينب"، وكانت الرحلة تحت رعاية مجموعة الأطلس التي نظمت الرحلة، تعتبر هذه الرحلة ثرية بالمعلومات إذ ألّم الكاتب بجوانب تاريخية تُكون صورة عن الملمح الديني للطريقة الرحمانية وزاوية الهامل والمرابطة "لالة زينب".

وينقل لنا الكاتب الجانب الأسطوري في تأسيس "الهامل" التي أصبحت فيما بعد مركز للطريقة الرحمانية وكان تأسيسها منذ البداية مرتبط بالمعجزة والروحانيات إذ تقول الرواية أن "سيدي عبد الرحمن بن أيوب" كان يقود مجموعة من التائهين المغاربة في القرن الثامن الهجري فتوقفوا عند حافة واد للراحة في ظلال الأشجار فغرس القائد غصن توت في الأرض كان يحمله ولما هموا بالرحيل لاحظ أن الغصن أفتح أوراقا فكانت علامة إلهية وإستقروا بالمنطقة وسموا قريتهم الهامل.

ويقود الشيخ الطريقة ويليه الخليفة وهذا الأخير يساعده المقدم الذي يتكفل بإيصال توصيات شيخ الطريقة للإخوان عن طريق الرقاب أو الشاوش أما المدرسين فهم تحت إمرة الشيخ أو المرابط ، وهذا التدرج في السلطة من الشيخ إلى الوكيل مرورا بالخليفة والمقدم كان مطبقا في زاوية الهامل التي تعتبر من أهم مراكز الطريقة الرحمانية، ولديها أتباع في كل المناطق مؤسسها "محمد بن عبد الرحمن بوقبرين" وعين في الشرق خليفته "سي مصطفى" والذي خلفه فيما بعد "محمد بن عزوز" أصيل البرج بالزيبان وعند سقوط بسكرة في يد الإحتلال الفرنسي عام 1843 إنسحب "محمد بن عزوز" إلى نفتة بتونس أين أسس هناك زاوية ولكن عند مغادرته ترك خمس مقدمين كبار خلفوه [40].

[40]Excursion à bou-saada et m'sila ,Ch.De Galland , Paris, éditée par paul ollendorff ,1899,P.P.69,67.

وكان الشيخ "سي مختار بن خليفة" من المقدمين الخمسة "لسي محمد بن عزوز" أسس زاوية ذات تأثير في أولاد جلال ببسكرة وكان مقدمه "محمد بن بلقاسم" ويتميز بالعلم والفضائل إذ تلقى علمه الأول في علوم الدين لدى الشيخ الشهير "بوداود" بآقبو ثم إنتقل إلى لأخذ العلم عن الشيخ "سي مختار" في أولاد جلال أين حظي بثقته وإحترامه وفي أكتوبر 1862 توفي الشيخ "سي مختار" وترك ستة أبناء صغار في السن وترك الخلافة الروحية لمقدمه الوفي "محمد بن بلقاسم" والذي عمل على تنشيط الطريقة ثم عاد لقريته "الهامل" التي أسسها حسب الأسطورة سلفه "سيدي عبد الرحمن بن أيوب" وهذه رواية الشيخ الفاضل حفيده "سي محمد بن حاج محمد بلقاسم" الشيخ الحالي "للهامل".

وكان لتأسيس الزاوية فيما بعد على يد الشيخ "محمد بن بلقاسم" أثر في جعل الهامل مكانا للنسك والصلاة وجوا للرحمة والتسامح فقدم إليها طلبة العلم من كل مكان وإزدادت شهرة الشيخ "محمد بن بلقاسم" وإنتشرت فضائله وأعماله الخيرية بين الناس وكان يعلم القرآن واللغة والنحو والصرف وعلم الفلك والدين والأخلاق وعمل مقدميه على نشر مبادئه وتأسيس الزوايا إذ بوقت قليل قبل وفاته تمكن معاونيه الذين كان عددهم 164 من تأسيس 29 زاوية و168 من الطُلبة كونوا 2.091 تلميذ وجمعوا 43000 مريد جديد.

وتوجد في الطريقة الرحمانية العديد من النسوة ويطلق عليهن الخواتات ومنهم المقدمات أين تمكّن من تأسيس مجموعات هامة،وفي 2 جوان 1897 توفي الشيخ وترك حفيده "سي محمد بن الحاج محمد" الخليفة الروحي وإبنته "لالة زينب" التي ورثت كل فضائله.

وكانت رحلة "قالون" لزيارة الزاوية إذ يقول:"...وإستقبلنا الشيخ الجديد "سي محمد بن الحاج" وكان الطريق للزاوية جيد ويوجد جسر على الوادي في حالة جيدة من الحجارة وقنوات الري والحدائق الخضراء وهي نتاج أعمال الشيخ التي نادرا ما نجد مثيلا لها لدى العرب ، ثم يأتي منحدر تظهر من خلاله الزاوية والمقبرة ويظهر كذلك المريدين والإخوان والطلبة ببرانيسهم البيضاء ولقد إستقبلنا المرابط والإخوان والمريدين والطلبة والمدرسين وتلاميذ الزاوية في غرفة مفروشة بالزرابي، وقدمت لنا الضيفة وزرنا مكتبة الزاوية الغنية بالمخطوطات والمصاحف ثم زرنا قبر الشيخ الكبير "محمد بن بلقاسم" وبخروجنا من الزاوية وجدنا ساحة صغيرة أمام أسوار مرتفعة لباب كبير ثم فتح هذا الباب وكانت هالة كبيرة بظهور المرابطة "لالة زينب" وعمّ الصمت المكان بملابسها البيضاء المرفرفة ببياض ناصع فهي تمثل الملكة والمتدينة والقديسة، تقربت منها وقبلت يدها فرحبت بنا وإستقبلتنا في الداخل، وتتميز بجمال عيونها... ولقد مضى سبعة أشهر فقط على وفاة والدها الشيخ، وعند خروجنا رافقتنا وكان الأتباع يقبلون يدها وطرف لباسها وكانت تشبه كثيرا والدها ولديها تأثير كبير على المخلصين والإخوان[41].

أما الكاتب الفرنسي "بول أودال" فكانت زيارته للمرابطة "لالة زينب" يوم 2 ماي سنة 1899 في الهامل على بعد 10 كلم من بوسعادة ،ويقدم وصفا مميزا ودقيقا للمرابطة وكان لقاءه بالمرابطة مطولا بالمقارنة مع الكاتب " قالون" مما جعله ينقل لنا صورة موسعة

[41] Excursion à bou-saada et m'sila ,Ch.De Galland ,Op.cit, P.P.68,70-71,73-74.

وثرية عن المرابطة يتخلله الإعجاب بشخصيتها فهو يعتبرها "قديسة الإسلام" ويربط شخصها بأساطير وروحانيات، ويبدأ الوصف بأسطورة تأسيس الهامل التي أوردها "قالون"،ثم يواصل وصفه للمرابطة "لالة زينب" التي ينعتها بـ "معبودة المنطقة" ويعتبرها قوة فعالة في المنطقة تحترمها سلطات الإدارة الفرنسية التي كانت تعفيها من كل أنواع الضرائب فهي "قديسة الإسلام" ورثت الفضائل والبركة من الشيخ الكبير للطريقة والدها "محمد بن بلقاسم" وهو من أصول شريفة وكان لديه تأثير كبير على أتباع الطريقة، ويحيط بالمرابطة ما بين 500 إلى 600 فارس لحمايتها وتأويهم الزاوية فهم أتباع مسالمين لكن يتحولون إلى محاربين أشداء يضحون بحياتهم من أجل المرابطة التي كانت تقوم بأعمال خيرية في كل المنطقة مما جعل الجميع أصدقاءا أوفياءا لها وممتنين لمساعداتها لهم.

وينقل لنا "أودال" اللحظات الأولى لوصوله للمكان، إذ تبدو منطقة الهامل من بعيد في الجبال وتبرز الزاوية مغروسة في القمة ، وتنتشر الأسطح المجيرة بالهامل وأشجار النخيل تحيط بالمكان[42] ،ويعود الفضل إلى الشيخ محمد بن بلقاسم في تطوير الزراعة إذ كان يحسن التسيير والتخطيط وساهم في تحسين موارد العيش بإحداث قنوات للري في ضفاف الوادي لزراعة الأراضي الخصبة وأنشأ الحدائق وزرع النخيل[43] وتمثل تضاريس المنطقة تحصينا للزاوية.

وينقل لنا صورة بعض السكان العرب في المكان الذين كانوا منتشرين في محيط الزاوية وهم من أتباع وطلبة الزاوية ، ولقد أستقبل الكاتب الفرنسي من قبل وكيل الزاوية "محمد بن عبد الله" الذي كان مرفوقا بالإخوان والطالب "سيدي عيسى" الذي نقل لهم ترحيب المرابطة "لالة زينب" التي إستقبلتهم ووفرت لهم كل وسائل الراحة، ويواصل بقوله: "وعبرنا عبر درج من الحجارة بمشى درج ضيق ومرتفع كما في الأبنية العربية وذهبنا إلى غرف الضيوف، وتوجد باحة كبيرة تستغل كقاعة طعام مفروشة بزرابي من الصوف باللون الأحمر والأخضر وهي من "جبال عمور"، أما التأثيث فهو أوروبي من الديوان إلى الأسرة والكراسي والأرائك المصنوعة بفرنسا، وتوجد طاولة دائرية يغطيها غطاء أبيض كما في القصور الراقية لقد كنا في داخل فرنسي وقدمت لنا قهوة تقليدية وبينما كنا نشرب هذا المشروب الأغلى في الجزائر، تقدم أكبر ممثل في الزاوية "الخوجة سيدي إمبارك بن بن رقاط"[44] وكلف لمرافقنا مترجم شاب يدعى "محمد بن أحمد" قادنا في زيارة إلى المسجد أين يوجد قبر الشيخ الأكبر للزاوية "محمد بن بلقاسم" وببركته داع صيت طريقته حتى تونس ومركزه الهامل ونشر في كامل إفريقيا الشمالية زوايا لأتباعه تدرس القرآن والدين واللغة ويدرس فيها المقدمين".

ويعتبر المقدمون والخلفاء قاعدة الزاوية فهم يمثلون جيش من الإخوان والأتباع الذين يحافظون على السمعة الكبيرة والمقدسة للزاوية، ويقع المسجد خارج أسوار الزاوية قرب قرية الهامل التي حولها الزعيم الروحي للزاوية إلى واحة يحيط به النخيل وهو مبني بالحجارة وبنيت أعمدته على طراز موريسكي لكن بناءه غير تام ورغم ذلك فهو يواجه عوامل الزمن والطبيعة وظل صامدا، ومنذ خمسة وعشرين سنة بدأ في مواصلة البناء والتشييد على يد مهندس تونسي، ويأتي الأتباع للصلاة في المسجد من مختلف المناطق.

[42] D'Alger à Bou-Saada ,Paul Eudel, Illustrations de H. Eudel, Paris, Augustin Challamel éditeur , 1904, P.P.167-168.

[43] Excursion à Bou-saada et M'sila ,Ch.De Galland , , Op-cit, P.69.

[44] D'Alger à Bou-Saada, Paul Eudel,, Op-cit, P.P.171-174.

ولوحظ وجود رواد منهم نساء في حالات روحانية ، وبالتالي كان إنخراط النساء في الطرقية بالمنطقة واسعا "كلالة زينب" التي كانت منخرطة في الإخوان وتماشيا وتعاليم الطريقة لا يمكنها أن تفوق رتبة المقدمة لكنها تتمتع بمكانة وقوة في الطريقة لا يمكن مضاهاتها.

وفي الشارع المؤدي لقصر المرابطة الذي تبدو أسواره العالية من بعيد ، توجه "أودال" من هذا الشارع إلى بيت "سي محمد بن الحاج محمد" حفيد الشيخ الأكبر "محمد بن بلقاسم" الذي توفي في رحلة بقبيلة صحاري "أولاد إبراهيم" في منطقة "بوغار" عن عمر يناهز 78 سنة ،ويسكن "سي محمد بن الحاج محمد" في قصر صغير وبسيط بالمقارنة بقصر قريبته "لالة زينب" يحيط به أصدقائه وأقاربه إستقبله في الطابق السفلي لقصره في غرفة مفروشة بالزرابي وتزينها الأسلحة ويورد "أودال" قائلا:"دعانا للجلوس في أريكة تبدو أنها أستقدمت مباشرة من باريس، وهو عالم يعطي الإجازات في الطريقة الرحمانية ويتكلم الفرنسية بطلاقة، وهو مثقف وألف عدة كتب في الدين كما ألف سيرة الشيخ عمه" [45].

كما تحدث "أودال" عن الحلي المحلية فهو كان في مهمة رسمية من الحكومة لرصد الحلي التقليدية وتعرف على الحلي بالمنطقة وكانت في مجملها بسيطة ومعروفة ما عدا جبين بصفين من الذهب مرصع بالأحجار الكريمة ثم يصف الضيفة في القصر، إذ يقول :" عدنا للقصر الكبير الخاص بالمرابطة للغذاء أين الفخامة الناذرة في البلاد لقد قدم لنا الماء المعدني ومجموعة من الخدم تحيط بنا لخدمتنا ، وكانت الضيفة فخمة إذ قدمت لنا في البدء الشربة ثم طبق من لحم الخروف والتمر والبطاطا ثم فطائر من السميد وقدم لنا الكسكس وبه العنب المجفف ثم المشوي وهو خروف مشوي قدم في طبق من فضة وكان قد ذهن بالزبدة مدة ساعتين ثم تلاه طبق آخر من عجينة لحم الخروف ثم المحلى وهو من عجينة الفرينة والسكر والعسل واللوز ثم لقيمات البينبي وهي هشة ولذيذة جدا ثم حضر لنا إناء الغسيل بمياهه المعطرة والمناشف الحريرية، ثم جاء وقت القيلولة وبعد ساعة جاء المترجم لإيقاضنا لملاقاة المرابطة وكانت مسافة طويلة تفصلنا عنها إذ مررنا عبر عدة ممرات وساحات لملاقاتها وكانت الطريق عامرة بالطلبة وكأننا في قصر سلطان المغرب" [46].

وهذا الوصف والتشبيه ببلاط سلطان المغرب يؤشر لدلالات عن سلطة المرابطة وقوة تأثيرها والفخامة التي تحيط بشخصها وكثرة أتباعها والموالين لها.

ثم يصف لنا جزء آخر من أجزاء الزاوية وهو المطابخ فهي كبيرة جدا وواسعة تشبه مطابخ العصور الوسطى بأوروبا بها مشوى كبير يتسع لشوي الأبقار كذلك وبها عدة أفران مشتعلة وطاولات طويلة وكبيرة وأحواض كبيرة من الخشب لتحضير الكسكس، ويساعد

[45] D'Alger à Bou-Saada ,Paul Eudel, , Op-cit, P.P.175-178.
[46]Ibid., P.P.179-183.

كبير الطباخين ثمانية مساعدين يلبسون لباس بألوان غامقة، وفي كل يوم تطعم "لالة زينب" ما بين 500 إلى 600 من عابري السبيل والمساكين والفقراء[47].

وهذه الأرقام تبين مدى التضامن الذي تبديه المرابطة مع الفقراء والمساكين كما تعطي مؤشرات عن الأوضاع الإقتصادية للسكان في تلك الفترة أين إنتشر الفقر والعوز، كما تبرز الدور الإجتماعي والإقتصادي للزاوية بالمنطقة .

ثم وصل "أودال" الساحة الشرفية في إنتظار إستقبال المرابطة له، وهيئت الساحة وفرشت بزرابي ووضعت كراسي حول طاولة صفت فوق زربية من الصوف حمراء اللون ، ويقول "...وبصفتي الأكبر سنا بين الجميع توليت مهمة تحية المرابطة وتقديم مرافقي في السفر لعظمتها المضيفة لنا، وكان برفقتي سيدتين وسيدين من العاصمة وباريس وكان المترجم يترجم خطابي الذي حضرته ..." إذ يقول لها :" يحفظك الله وتحميك القدرة الإلهية وليكن الله الرحمن الرحيم معك".

ثم دخلت "لالة زينب" محاطة بنساءها المرافقات ورحبت بهم باللغة العربية وكانت لا تجيد الفرنسية وكان وجه المرابطة مكشوف، وهي إمرأة في الثلاثينات من العمر وجهها نحيف جدا وهي نحيفة نحافة النساك بعيون هادئة لباسها أبيض وثقيل[48] يضفي عليها هالة وقدسية، وهي مريضة بالحمى المستوطنة المنتشرة بالمنطقة والتي خلفت عدة قتلى في موسم الصيف بالمنطقة ، ولقد حياها بتقبيل يدها وشكرها على كرم ضيافتها لهم، وأخبرها أنها تحضى بإحترام الفرنسيين لأعمالها الخيرية وقدم لها أصدقاءه ثم شكرتهم على الزيارة وأضافت أنه نادرا ما تتحمل النساء الفرنسيات مشقة السفر ويقمن بزيارة المنطقة ويصف الكاتب اللقاء بالحار،إذ قال:" كان لقاءها لنا حارا وحادثتها عن رحلتنا في الحضنة وطريق المسيلة بوسعادة وحاورتها على الحلي التي تندرج في مهمتي الرسمية وبينت لها رغبتي في رؤية حليها الخاص، الذي تكلم الكثير عنه" وفي عرضه للفكرة كانت تستمع إليه بهدوء ثم طلبت من خادمتها الزنجية إحضار الحلي التي كانت في إناءين كبيرين من الخشب المخصصة لتحضير الكسكس في إحداها الحلي الفضية وفي الأخرى الحلي الذهبية منها خلاخل كبيرة للأرجل وأساور مصنوعة في الأوراس وعقود ببزايم بيضاوية وسلاسل مختلفة والتعويذات والطلاسم وأقراط ومختلف الحلي المرصعة بالأحجار وهنا تكمن ثروة المرابطة وكأنه كنز "تيودورة" جاء من بيزنطة إلى الهامل، وفي الواقع كل هذه الكميات من الحلي هي هدايا من المخلصين والأتباع والرواد من كامل إفريقيا وتم تصوير مجموعة منها وكانت المرابطة متعاونة معهم ، وأبدت مرافقات السفر إهتماما بصحة المرابطة وقامتا بمعاينتها في غرفتها الخاصة وتبين أن المرابطة تعاني من إلتهاب القصبات أو نزلة رئوية ووعداها بإرسال الدواء عند عودتهما إلى الجزائر العاصمة[49] .

**ب . القديس أوغسطين ورحلات الحج إلى هيبون في القرن 19: صور ما بين نظرة إمرأة زائرة ورجل دين.**

[47] Ibid., P.P.184-185.
[48] D'Alger à Bou-Saada ,Paul Eudel, Op-cit, , P.P.185-186.
[49] Ibid., P.P.187-188,190-192.

لطالما تميزت العبادة والشعائر الدينية لمسيحيي إفريقيا وتمتع علمائها ومنظريها في الديانة المسيحية بشهرة كبيرة ك : "ترتيليون" " Tertullien"،" القديس سيبريون" " Saint Cyprien " "القديس أوغسطين" " Saint Augustin "،" القديس فيلجنس" " Saint Fulgence "، "المنصب التذكاري لعبادة مريم العذراء" الذي يرجع للفترة القديمة، والتمثال الذي يعود للفترة القديمة مريم العذراء الذي وجد بقرطاج، وشهادات المؤرخين وكتاباتهم كالمؤرخ "بروكوب" و"النصب الثلاث" التي أنشأت لمريم العذراء في إفريقيا في عهد "الإمبراطور جوستينيوس" فكانت إفريقيا أرضا للحج تستقطب جموع الحجاج المسيحيين كالحج إلى "السيدة الإفريقية "، ومن المهم أن نعترف أن مسيحيي إفريقيا كان لديهم دائما العظمة والتميز، وكان لديهم رجال دين عظماء [50] خاصة "القديس أوغسطين" الذي يوصف في الكتابات العلمية الفرنسية التي تعود إلى الفترة الإستعمارية بأنبل شخصية في شمال إفريقيا، ولد بتاقاست درس بمادور ثم قرطاج وبعد ما قضى وقت كبير في إيطاليا عاد إلى أفريقيا عام 388 م وألف العديد من الكتب واجه في كتاباته المانويين والدوناتيين بصفة خاصة [51] .

**رحلة الحج إلى هيبون للكاتبة الفرنسية Marie Noël** :تبدأ الرحالة الوصف بالمدينة "هيبون" وآثارها الرومانية أين يرقد القديس بالهضبة، وتواصل رصد صورة المدينة سواءا الجانب الطوبوغرافي أو البشري أو العمراني والأثري كذلك، فعند الوصول إلى "هيبون" تلاحظ التلال التي تغطيها أشجار الزيتون التي ترتفع عاليا في السماء وتصل تموجاتها إلى غاية البحر، على هذه التلال بنيت المدينة التي إرتبطت "بالقديس أوغسطين" تطل الشمس على هذه "المدينة النائمة" وتحيط بها الأشجار المثمرة وتملأ رائحة أزهارها الزكية المكان [52].

تنتقل لوصف المدينة بعمرانها وسكانها وهنا تساهم في التأريخ والتوثيق من خلال رصد الصور كان ضجيج القوراب يرتفع من المدينة "بونة" التي بنيت حديثا غرب آثار "هيبون" ترتفع المدينة تحت السماء الأزرق وتقع القصبة فوق التلة.

يطلق عليها سكان المدينة بلاد العناب التي دخلها فرنسا يوم 26 مارس 1832، وإشتهرت الهضبة التي كانت تحيط بها بالخصوبة ،ورغم أن المدينة قسم منها محلي وقسم فرنسي فهي راقية وأصيلة ،وقرب المنازل العربية القديمة توجد مساكن ومبان وسبالات مبنية ضمن المعايير المعمارية الحديثة [53].

تواصل وصفها بقولها: ".... في هذه الشوارع المبلطة حديثا والمملوءة بأشخاص من كل أنحاء العالم تجد الفرنسيات بزيهم الأوروبي والحضريات بالحايك من الموسلين الأبيض، والمالطيات بزيهن الخاص واليهوديات بلباسهن التقليدي وكن يخبئن رؤوسهن تحت

[50] Notice sur le pèlerinage de Notre-Dame d'Afrique à Alger ,Le Cardinal Lavigerie, , Alger, E.Gaudet , (2e éd. revue, corrigée et augmentée) ,1924,P.P.15-16.

[51] Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830),Mercier, Ernest , ,Tome 1,Paris, Ernest Leroux éditeur,1888,P.141.

[52] Ibid., P.12.

[53] Pèlerinage à Hippone,Noël., Mme Marie, Limoge, F.F.Ardant Frères, 1869, P.13.

المجوهرات لأن التلمود يمنعهن من كشف رؤوسهن،...وترى كذلك الفرنسيين من عسكريين وضباط،... وكذلك البدو بلباسهم التقليدي إذ يغطون رؤوسهم بالشاش ،أما الحضر فيرتدون برانيس وبأيديهم مروحة من الريش والتي لم يتغير شكلها منذ وقت "حسين داي" [54] ...".

وما شد إنتباه الرحالة في حياة المدينة صباحا هو السوق إذ تزامن يوم إقامته مع جولتها في أحياء المدينة وعبرت عن إنبهارها بالمشهد ووصفته بالمنظر الفريد الذي لا ينسى، تصور المشهد بقولها : "....وبما أننا في الصباح عشنا منظرا لا ينسى إذ كان وقت السوق إنه عرض فريد بالنسبة لنا،...منهم عرب من الصحراء بلباسهم وجمالهم محملة بحملات من القمح رابطة أمامهم،... غيرهم يبدون فقراء يبيعون الدواجن والزبدة وفواكه الجبل المجففة ولا يتكلمون هنا الفرنسية بتاتا كلغة منفصلة بل يتحدثون بعدة لغات ويتواصلون جميعا ، والتجار يتبادلون الحديث مع المارة ومنهم المالطيين بكل فئاتهم ،... وما أذهلنا وفرة وتنوع السلع وثراء البلاد ،تجد أهرامات من الفواكه وسلال الخضر وأكاليل العناب،...هذه البلاد الثرية إذ تنتشر في المروج بساتين البرتقال والليمون الذي يشع لونه الذهبي في إنسجام مع لون قطيفة السلال الأخضر والتمور والرمان والبطيخ المصفوف بإنسجام على الأرض ، وكانت رؤية المتجولين في السوق من السكان تجذب الفضول، وكانوا يحاولون المارة لشراء سلعهم [55].

بعدها تصف بإسهاب رحلة الوصول إلى هيبون لآداء الحج إلى قبر القديس وقدمت لنا وصفا دقيقا ومفصلا ساهم في التعرف على طبيعة المكان وغطاءه النباتي والزراعات المحلية المنتشرة في المنطقة والثروة الحيوانية إذ أسهبت في التعريف بالمنطقة وتخلل وصفها تعابير شاعرية في وصف الطبيعة والآثار العمرانية للمدينة هيبون.

تقول :"...في اليوم الثاني من وصولنا ذهبنا إلى "هيبون" خرجنا من" بونة" مشيا على الأقدام تماما كالحجاج الحقيقيين وسلكنا طريق طويل وسط حقول ومزارع الأوروبيين وكانت الحرارة مرتفعة في المكان لكن الجو كان منعشا مما يذكر بربيع فرنسا ونسيم البحر يحمل معه رائحة البرتقال والليمون التي تلطف من حرارة الجو،... ويوجد بالمكان نهر صغير يسمى "البوجيمة" يجري على حواف الطريق تنمو به شجيرات الدفلى التي تنمو أينما تجري المياه وتمنح المكان منظرا جميلا لكنها تحتوي السموم ،... وفي كل مكان في السهل أين تتربع المرتفعات والتلال وتنتشر المروج يكسوها بساط أخضر تذكرنا بأيام الربيع والسافانا الموجودة في العالم الجديد،...." [56] .

وتضيف: "...بعد عبورنا جسر "بوجيمة" وصلنا إلى موقع المدينة "هيبون" التي تتميز بغطاء نباتي متنوع من نباتات وأشجار، وتحيط بالطريق المؤدي للتلة أشجار الزيتون التي تضيف رونقا على الطريق....،أما المكان فبعد دفن رفاة القديس سنة 1842 ميزه النصب وهو بسيط به المذبح من الرخام الأبيض والعارضة دائرية وتمثال من البرونز محاط بسياج ،وكان لنصب هذا التمثال بين آثار هيبون أثر كبير، فهو يسيطر على الهضبة ويطل على البحر ويحمي المدينة النائمة....، وتنتشر أشجار الزيتون حول النصب وكان الحجاج

[54] Pèlerinage à Hippone, Mme Marie Noël, Op-cit,., P.14.
[55] Ibid., P.P.15-17.
[56] Ibid., P.20.

يأخذون أكاليل وحبات الزيتون، وتنتصب آثار كثيرة لهيبون وبقايا أثرية أخرى قرب البحر كذلك ويعتقد الحجاج أن هذه الأسوار تمثل بقايا كنيسة السلام المشهورة التي كان القديس أسقفا لها لعدة سنين....، وإنتشر بالمكان نبات الصبار والتين ونبات الآس العطري والمصطكي ونجيل الهند العطر والعناب والصبار وغيرها من النباتات التي تملأ المكان، وكان المكان مذهلا إذ نلمس إنسجام المظهر البري وثراء حدائقه من النباتات والأشجار والشجيرات والحشائش المتنوعة التي تميز المكان إضافة إلى خصوبة التربة ...، وكانت منازل الحضر بيضاء اللون يعلوها القرميد وهي ضيقة ويقابلها البحر بزرقته ونسيمه اللطيف، وهذا من عظمة الخالق...." [57]

.

تواصل الكاتبة السرد الذي جمع عدة صور عن المدينة والسكان في مسار رحلتها وحجها وتصف الإحتفال بيوم القديس وتعطي صورة عن المدينة التي فقدت الهدوء في هذا اليوم لكثرة وفود الحجاج إليها .

وتقول:"... يوم 29 أوت عيد القديس فقدت فيه ربوة هيبون هدوءها وأصبحت مكتظة بالحجاج في ذهاب وإياب ،وبُدأ الإحتفال بإحياء التضحية المقدسة بالصلاة بين الآثار وكانت مزينة بالورود والروائح الممتزجة بين الياسمين والجيرانيوم البري ص65 ، بالكنيسة غير المقببة والتي تتسرب عبرها أشعة الشمس في منظر مميز... " [58].

وتعترف أنه منذ أيام فقط لم يكن الحجاج يتوقعون بأنهم سوف يحتفلون بعيد "القديس أوغسطين" بهيبون بسبب موجة الحرائق التي إجتاحت المنطقة بمرور رياح "السيروكو" ، لكن الحجاج تمكنوا من الإحتفال بعيد القديس في مدينته هذه المرة .

ونلاحظ أن الكاتبة تقدم معلومات متنوعة ما بين الوصف عن المدينة والسكان وتقديم معلومات عن تاريخ المدينة في العهد الروماني والحديث عن القديس الذي قدمت لمحة عن تاريخ حياته. تقدم معلومات عن حياة القديس ووالديه ثم تتحدث عن مسار القديس في طريق الإيمان.

تنقلنا لوصف آخر إرتبط بالموروث الثقافي والفكري والحضاري للمنطقة ويصب في الأنثروبولوجية الدينية والثقافية وخص النساء بصفة خاصة، إذ رصدت المظهر والمرأة في حد ذاتها التي أعطت صورة مميزة عن المرأة المحلية المنفتحة على الآخر والمتمسكة بعاداتها وتقاليدها ، تقول الرحالة :"...ومنذ لحظات في طريقنا صادفنا بناء صغير أمامنا ، بني بطريقة غريبة تبدو الشمس معلقة من خلاله، مركب من صفائح بيضاء ولامعة ، وعند مدخل هذا البناء تقف الحضريات بلحافهن الأبيض من نسيج قطني ناعم –الموسلين – وبقربهم عجوز عربية تحضر طبق الكسكس التقليدي وتتحدث اللغة الفرنسية بطلاقة إذ تبادلوا معها الحديث... ، وهذا البناء المميز هو قبر مرابط وكانت النسوة في زيارة للقبر وحضروا غذائهم بالمكان وكانت العجوز تشرح للحجاج الفرنسيين العادات، أما النسوة الحضريات فكن صامتات وخجولات يغطين وجوههن بالحايك،... وغير بعيد عن القبر مررنا على واد "بوجيمة" وهو جسر روماني

[57] Pèlerinage à Hippone,,Mme Marie Noël, Op-cit, P.P.27,30-32,35-36.
[58] Ibid., P.P.65-66.

قديم معاصر للفترة الرومانية ورُمم بطريقة غير لائقة... ،ومثل هذا الجسر للرحالة قدسية كبيرة إذ تعتبره عايش كل الأحداث ومر من خلاله القديس عديد المرات فهو يحمل بصماته...، وتحت أعمدة الجسر يأخذ العرب قيلولتهم وأمامهم جمالهم .... ، إن منظر حقول القمح والطيور التي تملأ المكان والسفن تذكر بالقرى الفرنسية ..." [59] .

من خلال رحلة حجها ترصد الكاتبة الفرنسية المظاهر الأخرى التي تحدد الملامح الإقتصادية للمجتمع المحلي الثري وتقدم حيثيات دقيقة من الحياة الإجتماعية والدينية كالآذان والمؤذن وقاربت بين المسلمين والمسيحيين في العبادات كآداء الصلاة، ففي إشارتها للأذان وصوت المؤذن الذي فاجئها أول مرة عند سماعه لكن بعد أن إستعلمت حوله أدركت وظيفته، وكانت تشاهد منارة المسجد من النزل الذي كانت تقيم فيه فوصفت شكل المؤذن وكان يضع شاشا ويؤذن للصلاة وشبهته للقصص الشرقية القديمة وأضافت أن تواجد المؤذن في كامل تراب الجزائر فأينما يكون المسجد يكون المؤذن وحتى في المناطق التي لا توجد بها مساجد يجتمع الناس للصلاة في ساحاتها بعد آذان الصلاة ، ثم إنطلقت هي الأخرى للصلاة في الكنيسة والدعاء .... " [60].

**صورة "القديس أوغسطين" من خلال رئيس الدير الأب M. l'abbé Léon Sibour** : من خلال تقديم "الأب سيبور" تكمن الأهمية الروحية والعلمية للقديس والكنيسة في نظر رجال الدين الفرنسيين وعلى رأسهم أسقف مدينة الجزائر "الأب ديبيش" " M.A.A.Dupuch " الذي بدل قصارى جهده لإحياء تراث "القديس أوغسطين" وحماية آثاره والإعتراف بدور الكنيسة الإفريقية الديني كما يؤكد "الأب سيبور" و ينعتها "بأم العلوم".

ويصف "الأب سيبور" " M. l'abbé Léon Sibour " تأثره بالقديس إذ يقول :"... في هيبون أين إقتفيت أثر "القديس أوغسطين" لقد إرتبطت بخطواته وتابعت طريق القديس وحيثيات حياته كأسقف وموثق لقد درفت الدموع وتلوت صلوات الحمد وإختلجتني المشاعر الجياشة، وشدني دموع وصلوات المصلين في الكاتدرائية " كاتدرائية السلام" ،...ولقد قضيت بها ساعات عديدة في القراءة والتأمل...".

وهنا ينقل لنا "الأب سيبور" صورة الحجاج ومراسيم الحج ومكانة "القديس" واللافت هو رصده للمدينة وآثارها، فالمستوطنة مثلت لهم مكان مقدس بقوله :".....كانت له الرغبة في زيارة الجزائر المستوطنة المقدسة للطريق الديني [61] ".

يصف مراسيم دفن رفاة القديس سنة 1842 في إحتفال رسمي كبير ومهيب حضره مجموعة من أساقفة فرنسا يترأسهم أسقف الجزائر العاصمة ،يصف "الأب سيبور" الرحلة بالتفصيل من ميناء سطورة إذ إنطلق الوفد يوم 30 أكتوبر على أمل الوصول إلى بونة عشية "عيد القديسين" ورافقهم مجموعة من الأساقفة وقيادة الأركان ،وبدأ في سرد الإحتفالات التي واكبت إرجاع رفاة القديس

[59]Pèlerinage à Hippone, Mme Marie Noël, , Op-cit., P.P.22-26.
[60] Ibid., P.P.18-19.
[61]Lettres sur la translation à Hippone de la relique de saint Augustin, M. l'abbé Sibour, Léon, Paris, La Bibliothèque Royale,1844 ,P.P.8-10,12 .

لإفريقيا إذ يشبه أسقف العاصمة بنابوليون ويعتبر الشمس حليفته إذ أشرقت في ذلك اليوم وعبر عن الحدث "المجد والنصر الفرنسي في هيبون" الذي واكب إعادة رفاة القديس في أول نوفمبر تزين الشاطئ المؤدي لمدينة القديس ويؤكد على حضور كل سكان بونة إلى المراسيم إذ حضر الأهالي وإختلطوا بالأوروبيين، إذ يحدد بقوله:"... ولاحظنا الجميع مختلطين الأوروبيين وسكان بونة الحضر والبدو من القبائل المجاورة وقبائل المناطق الجبلية كذلك أتوا جميعهم بمحض إرادتهم لحضور قداس التأبين..."، ويضيف :"...كانت الآثار تملأ المكان ولمرور بقايا القديس من المكان قدسية خاصة مرتبطة بالأحداث التي عاشها القديس والتي يحييها مروره اليوم عبر جسر أبو جمة Abou- Gemma واكبه غناء مقدس تأثر الأساقفة وبارك أسقف بوردو البقايا المقدسة في حين أدى الصلاة أسقف الجزائر وأعاد له عصا القس في الجسر وكانت أشجار الزيتون تملأ المكان..." ، ويصف المدينة هيبون التي إسترجعت الحياة وعند الوصول للمكان بارك أسقف بوردو المذبح وصلى.

وما ميز المكان تنوع الحاضرين بألبستهم وأعراقهم ولغتهم ودينهم،فالعربي بالبرنس بجانب الضابط الفرنسي بزيه العسكري الرسمي والنساء بألبستهن المنمقة والمتنوعة الممثلة لكل الدول الأوروبية التي ينتمي إليها سكان المدينة، فنجد الشاشية العربية الحمراء واللباس الأسود اليهودي لقد حضر السكان حتى البدو كذلك كانوا تحت أشجار التين بلباسهم المميز الحايك.

وكان خطاب أسقف بوردو موجه للجنود وبعد الخطاب بارك كل الأساقفة البقايا المقدسة وأثناء الفترة المسائية تفرقت جموع المصلين وغادر الجمع هضبة القديس [62].

**ج . الطريقة العيسوية وعولمة الثقافة المحلية.**

تعتبر الطرق الصوفية من المؤسسات التي رافقت المجتمع الجزائري في جل فتراته التاريخية وكان لها دورا فعالا برز في مختلف مجالات الحياة اليومية شمل الجانب الديني والثقافي والاقتصادي وكذلك السياسي.

وكان لهذه الطرق الدينية في الفترة الإستعمارية صدى واسع، فمثلت محط جذب للرحالة والزائرين للبلاد الذين توافدوا جموعا للمستوطنة الجديدة التي إعتبرت مكسبا للإستعمار الفرنسي في القرن التاسع عشر، وجسدت الشرق بسحره وأسراره للمثقفين الفرنسيين من أدباء ورسامين زاروها تباعا وكتبوا عنها رحلات رصدت واقع المجتمع المحلي وكان للطرق الصوفية جانبا كبيرا من هذا الاهتمام، ومن هنا ترتكز إشكالية مداخلتنا حول دور الطريقة العيسوية في الجذب السياحي ومساهمتها بالتعريف بالطرق الصوفية في الجزائر من خلال كتابات الرحلة، إذ كان كل الزوار يحضرون "حضْرات" للعيساوة التي مثلت محطة أساسية في برامج الزيارات إلى البلاد.

**التأثير الروحي للطرق الصوفية على المجتمع الجزائري.**

[62] Lettres sur la translation à Hippone de la relique de saint Augustin, M. l'abbé Sibour, Léon, ,Op-cit, P.P.104-111.

كان للمرابطين أثر كبير في المجتمع ويتمتعون بسلطة روحية خاصة ذوي الأصول الشريفة إذ مثلوا النبل الديني ، وتمتع بعضهم بالقدسية ويطلق عليهم "الغوت" أو"القطب" وبالمقابل ظهرت الطرق الصوفية والإخوان التي كان لها تأثير كبير في أوساط المجتمع إذ إزداد عددها وتوجد منها المحلية المحضة ويزداد تأثيرهم يوميا ويتضاعف عدد مريديهم وأتباعهم[63] .

وتُبرز الكتابات الفرنسية إنتشار الطرقية وتوسعها وإحتواءاها للمريدين ومدى تأثيرها على الأهالي وتصف المريدين بالمطيعين، إذ يقول **الكاتب " نويلا" " Noëllat "** :" ...تتمتع الطرق الصوفية بسلطة كبيرة ...فالأهلي يتبع الطريقة ويطيع المقدمين ويشاورهم في أمور حياته وينصاع لأوامرهم بصورة كاملة ...[64]" .

وإنتشرت الطرق الصوفية بالبلاد وكان في فترة الإحتلال الفرنسي على مستوى الجزائر 23 طريقة بفروعها و355 زاوية و22 شيخ أو مرابط و1955 كمقدم و849 شاوش و186.974 من الأتباع المريدين، وتأتي مداخيل الزوايا من الأتباع والرواد والحبوس والعطايا والصدقات وعطايا الزيارات[65]، وبذلك تعتمد الزوايا على مريديها في تأمين المداخيل التي تُؤمن نشاطها خلال السنة، فعقب الحصاد تبدأ الزاوية في جمع الزيارة والمحاصيل المتنوعة كالحبوب والزيت والزبدة والصوف والملابس والأغطية والحيوانات والأموال من مريديها وأتباعها [66].

**بعض الصور عن العيساوة.**

كانت صورة الطريقة العيسوية بحضراتها وطقوسها صورة مركبة ممزوجة بالفضول والخيال بل كانت جزءا أسطوريا في مخيلة الآخر الذي إرتحل زائرا للبلاد للتعرف على مجتمعها وإنجذب بهذه الطريقة دون غيرها، وأورد هذا الجانب مجموعة كبيرة من الكتاب أبرزوا الجانب الأسطوري للطريقة العيسوية من زاوية تاريخية بالحديث عن الشيخ المؤسس والطقوس.

**الكاتب الفرنسي "إيدموند دوتي" "Edmond Doutté "** قدم العيساوة على أنهم معروفين لدى السياح الفرنسيين بفضل ممارساتهم وطقوسهم التي تجذب الزوار، فالطقوس التي يمارسونها تعتمد على أكل الزجاج وإدخال آلات حادة في أجسادهم وإحراق أنفسهم بالنيران وعض أنفسهم بالحيوانات السامة، ويرى أن هذه الطقوس مزيج من الدجل والشعوذة والتنويم المغناطيسي، ولا يوافق "إيدموند دوتي" كل ما يقال عن العيساوة ففي عرضه لرأي **"روبار هودان" "Robert Houdin "** الذي زار البلاد وكتب عن العيساوة، وهو أشهر حاو فرنسي في القرن التاسع عشر وعرف بمجدد السحر الحديث وهو مخترع كل الخدع الحديثة ففي إحدى مهامه الرسمية للجزائر أين جاء لمعاينة العيساوة أقر "روبار هودان" أن عروض العيساوة تندرج في فنون الشعوذة والخفة وإعتبرهم في مجملهم صادقين.

[63] Algérie Et Tunisie Récit De Voyage Et Etudes ,Alfred Baraudon, , Librairie Plon, Paris 1893, P.155.
[64] L'Algérie en 1882, Noëllat, (colonel). ,Librairie Militaire De J.Dumaine, Paris, 1882,P.71.
[65] Excursion à Bou-Saada et M'sila, Ch.De Galland , , ,Op-cit ,1899,P. 67.
[66] L'Algérie en 1882, Noëllat, (colonel). ,Op-cit, P.73.

**الكاتب " شارل كارثورون" "Charles Carteron"** :إنبهر برؤية العيساوة في إحدى جولاته، إذ يقول : "... وفي تجوالي في الحي العربي لمحت تجمعا للأهالي في الظلمة فتقدمت منهم ورأيت رجالا في حالة روحية محضة ،وعلمت أنهم "العيساوة" يجتمعون كل جمعة في حلقات روحية في المسجد فإنضممت إليهم ودخلت معهم ونقلت المنظر،وكانوا يقومون برقصات روحية على وقع الموسيقى ثم إندمج بعضهم وكانوا يقومون بحركات تفوق الطبيعة، فبعضهم يضع قضبان الحديد الساخنة في أنوفهم وبعضهم يبتلع الزجاج وبعضهم يبتلع الأفاعي بعد أن قاموا بِعّضهم في مختلف مناطق الجسم وبعضهم يبتلع الجمر وبعضهم يرمون أنسفهم برصاص المسدسات، وكلما إزداد الألم إزدادت النشوة الروحية ونادرا ما يموت أحد أعضاء "العيساوة" من جراء هذه الممارسات ولا تفسير لهذه الحالة المرتبطة بالقوى الخارقة للعيساوة"[67] ، هنا يبدو الكاتب مبهورا ومعجبا بالطريقة وبطقوسها الغامضة المثيرة للإنتباه.

**الكاتب " آلفريد بارودون" " Alfred Baraudon** ":ينظر البعض للطريقة العيسوية على أنها طريقة غامضة، إذ يقول الكاتب " آلفريد بارودون" :" ...الكل سمع عن "العيساوة" وعن ممارساتهم وطقوسهم الغريبة، فالبعض يراهم كالقديسين تحركهم أنفاس إلهية تحميهم من الآلام والبعض يعتبرهم قبس إلهي، وهي صورة سامية من النسك والتصوف والزهد تجعل من المريد في حالة روحية خارقة للطبيعة الإنسانية...[68]"، يرى " آلفريد بارودون" أنه من وجهة نظر دينية فهذه الطريقة لا تختلف عن بقية الطرق الدينية إلا بكونها تتميز بطقوس صوفية أين تندمج الروح الإنسانية وتسمو روحانيا في صور سامية ، والمريد ملزم بالذكر إذ يؤدي ما يزيد عن ثمانية عشر مرة من الأذكار في اليوم،وبعض الأذكار تكرر ما بين ثمانية عشر مرة ومائة مرة.

**الطريقة العيسوية وإندماجها في الحركة الإقتصادية.**

في إعتقادي أن للطريقة العيسوية دور كبير في التعريف بالموروث الثقافي والفكري للبلاد من خلال طقوسها التي مثلت عامل جذب للزوار الفرنسيين من سياح وكتاب شدهم التواصل الروحي للمريدين والقوى الخارقة التي ميزتهم في حضراتهم عن غيرهم من الطرق الأخرى، فكان الزائر يدرج حضور حضرة للعيساوة كبرنامج قار في رحلته للبلاد ورافق الذهول والإعجاب الحضرات على الدوام.

وكان إندماج الطريقة العيسوية في الحركية الإقتصادية للبلاد إذ مثلت ركنا هاما في الإقتصاد المحلي والترويج السياحي بإستقبالها للسياح والسماح لهم بحضور الحضرات الدينية إلى درجة تكيفهم مع الوضع الثقافي للبلاد إذ تميزت بتقديم عروض للحضرات في المسرح ، كما ينقل لنا العديد من الكتاب والرحالة الفرنسيين وسنعرض بعض النماذج التي رصدت عروض العيساوة وكتبت عنها وأبدأت تصورها حول الطريقة.

[67] Voulez-Vous Connaître l'Algérie, Tous les Usages des Arabes, Leur Vie Intime et Extérieure, Ainsi Que Celle des Européens Dans Cette Colonie ?,Carteron, Charles., Macon, imprimerie de Romand, P.P263-264. Paris, 1866 ,

[68] Algérie Et Tunisie Récit De Voyage Et Etudes ,Alfred Baraudon, , Op-cit, P.603.

**الكاتب "بول أودال" " Paul Eudel** ": ألف عدة مؤلفات عن الجزائر، تحدث عن الطريقة العيسوية وكتب عن إحدى عروضها يقول:"... برمجت عدة عروض في المسرح البلدي يوم13 فيفري بالعاصمة منها مسرحيات، عروض رقص...، وعرض للعيساوة الذين كانوا ينتظرون دورهم في العرض..."[69]، ويصف العرض بالتفصيل.

**الكاتب "دو فونتراس" "Armand Trumet De Fontarce"**: يتحدث عن عروض العيساوة على الطلب للسياح والزوار القادمين في أوقات خارج العروض الدورية[70]، ويروي "دوفونتراس" طلبهم لفرقة العيساوة لآداء عروض إستثنائية لهم عقب قدومهم، إذ يقول :"...لنستمتع بعروض العيساوة خاصة عند أكلهم للعقارب مثل الجمبري كان علينا التوجه للعيساوة قبل عرضهم الذي سيقام بعد ستة أيام، ولقد تعودوا على تقديم عروض خاصة ..، ورغم أنهم يمثلون طريقة دينية تضحي بالنفس من أجل الدين والنبي فإنها لا تتردد في ربح الأموال بتقديم عروض طقوسهم مقابل الأموال للسياح ..."، ويواصل سرد العرض بالتفصيل للحدث بقوله: ".... وفي المساء كان كل السكان قد سمعوا أن أوروبيين قد طلبوا العيساوة في عرض خاص،...وتنقلنا مساءا للزاوية التي سيقام بها العرض ووصلنا مكان العرض ورغم أن العيساوة كانوا حاضرين في معرض باريس العالمي لسنة 1889 إلا أنهم كانوا أكثر تشويقا في عروضهم بالجزائر..."[71].

وأكد العديد من الكتاب على النشاط الإقتصادي للطريقة وإقامة العروض الترفيهية بالطلب كالكاتب **"إيميل ماسكوري" " Émile Masqueray** "الذي حضر عرض متنقل للعيساوة وبعد ما تلقى خبر بعبور مجموعة من العيساوة يفوق عددهم العشرين مريدا في نواحي "المسيلة" وكانوا مرفوقين بآلاتهم الموسيقية وآلات العرض والحيوانات السامة التي تستخدم في العرض وعند وصولهم كان الناس ينتظرونهم عند أطراف القرية في حي قديم وكانوا متجمعين رجالا ونساءا وأطفالا، وجُهز المكان لإقامة العرض إذ أشعلت النيران وأحضرت الآلات الحادة والفؤوس والسيوف وأكياس الأفاعي والعقارب والطبول[72] ، ونفس المنظر قدمه الكاتب **"هنري دروي" " Drouet Henri"** الذي تحدث عن المساهمة الإقتصادية النشطة للطريقة العيسوية في الحركة السياحية بالبلاد خاصة مع إزدهار الوضع الثقافي إذ كانت تقام الإحتفالات والعروض الترفيهية بكثرة في الجزائر، وكان إندماج العيساوة لافتا للأنظار فهم كانوا في شراكة مع كل الجمعيات الثقافية والسياحية الناشطة في البلاد، فمثلا عند تنظيم فرع الجمعية الجزائرية لنادي التسلق إحتفال بقدوم أعضاء فرنسيين، إستأجروا العيساوة لتقديم عرض لطقوسها وترافقها وصلات رقص، ويضيف الكاتب:"... وبكوننا سياح لنا الإمتياز بحضور الحفل الذي أُقيم في بيت عربي كبير فإمتلاء المكان بالمتفرجين.... "[73].

[69] Hivernage en Algérie ,Paul Eudel, , Op-cit, P.P.167-170.
[70] Souvenirs d'Afrique, Algérie ,Rumet de Fontarce, Armand, , Op.cit.,, P.6.

[71] Ibid., P.P. 112-113,116-117,120.
[72] Souvenirs et visions d'Afrique , Émile Masqueray, , E.Dentu éditeur, Paris, 1894,P. 143.

[73] Alger et le Sahel , Drouet Henri , Librairie Hachette et C[ie],Paris, 1887,P.P.127-128.

وبالتالي أكد العديد من الكتاب الأهمية الإقتصادية ومساهمة الطريقة العيسوية في الحركية الإقتصادية المحلية بتنظيم عروض خاصة للزوار والتعاون مع المؤسسات السياحية والترفيهية الفرنسية وتقديم عروض في المسارح الرسمية للمستوطنة.

**الإستنتاج** : وبالتالي نستنتج أن للتراث التاريخي العمراني والديني والفكري دور في الحفاظ على تاريخ الجزائر الحضاري والتعريف به من خلال الكتابات التاريخية المتنوعة خاصة كتابات الرحلة التي رصدت دقائق الحياة الإجتماعية والإقتصادية هذه الأخيرة التي ساهمت فيها المؤسسات الدينية كالطريقة العيسوية التي كان لها دور إقتصادي عُرفت من خلاله على التراث الفكري والديني للجزائر وساهمت في خلق مصدر دخل محلي بالمساهمة في السياحة الدينية في تلك الفترة والشيئ نفسه بالنسبة لرحلات الحج الدينية للموروث الديني المسيحي لمدينة هيبون التاريخية ولبقايا القديس أوغسطين بها وإرثه التاريخي الإنساني العالمي الذي جذب الزوار ولا يزال في الوقت الحالي في رحلات سياحية لمدينة هيبون الأثرية وآثارها، كما كان للمدن الصحراوية على وجه الخصوص وعمرانها دور في التأريخ المحلي والتعريف بالموروث الثقافي والفكري الحضاري الجزائري إذ حظيت مجموعة من المدن بأفضلية في السياحة وكانت وجهة منشودة ساهمت في تعريف الآخر بالخصوصية للتاريخ المحلي إضافة إلى مساهمتها الإقتصادية، وبالتالي كان للموروث الثقافي والعمراني والفكري دور فعال في الحفاظ على الهوية المحلية وفي التعريف بالإرث الحضاري للمجتمع الجزائري والمساهمة في التأريخ المحلي الإجتماعي والإقتصادي والمحافظة على الهوية والإرث الحضاري للبلاد.

**نتائج البحث:**

- وبالتالي نستنتج أن للتراث التاريخي العمراني والديني والفكري دور في الحفاظ على تاريخ الجزائر الحضاري والتعريف به من خلال الكتابات التاريخية المتنوعة خاصة كتابات الرحلة التي رصدت دقائق الحياة الإجتماعية والإقتصادية هذه الأخيرة التي ساهمت فيها المؤسسات الدينية كالطريقة العيسوية التي كان لها دور إقتصادي عُرفت من خلاله على التراث الفكري والديني للجزائر وساهمت في خلق مصدر دخل محلي بالمساهمة في السياحة الدينية في تلك الفترة والشيئ نفسه بالنسبة لرحلات الحج الدينية للموروث الديني المسيحي لمدينة هيبون التاريخية ولبقايا القديس أوغسطين بها وإرثه التاريخي الإنساني العالمي الذي جذب الزوار ولا يزال في الوقت الحالي في رحلات سياحية لمدينة هيبون الأثرية وآثارها، كما كان للمدن الصحراوية على وجه الخصوص وعمرانها دور في التأريخ المحلي والتعريف بالموروث الثقافي والفكري الحضاري الجزائري إذ حظيت مجموعة من المدن بأفضلية في السياحة وكانت وجهة منشودة ساهمت في تعريف الآخر بالخصوصية للتاريخ المحلي إضافة إلى مساهمتها الإقتصادية، وبالتالي كان للموروث الثقافي والعمراني والفكري دور فعال في الحفاظ على الهوية المحلية وفي التعريف بالإرث الحضاري للمجتمع الجزائري والمساهمة في التأريخ المحلي الإجتماعي والإقتصادي والمحافظة على الهوية والإرث الحضاري للبلاد.

-الأهمية العلمية للتراث التاريخي والعمراني الذي يمثل قاعدة أساسية للتعريف بالإرث الحضاري للجزائر.

-الدور الإقتصادي للمدن الصحراوية التي كانت تمثل القاعدة الأساسية للتجارة في البلاد وفي جنوب الصحراء.

-بروز المدن الصحراوية يؤكد إمكانية تحول المدن النائمة إلى نماذج إقتصادية عملاقة تخلق إقتصاديات جديدة عن ثقافاتها كالسياحة الصحراوية ونموذج مدينة بسكرة التي كانت في الفترة العثمانية منطقة تبادل تجاري بإعتبارها بوابة الصحراء للمنتجات المحلية كالحبوب والتمور وغيرها، نلاحظ بعد الإحتلال الفرنسي تحولت إلى منتجع سياحي شتوي ومصحة طبيعية وكانت الرائدة في ما نطلق عليه اليوم السياحة الصحية، وتغير ملمحها الإقتصادي من مدينة محدودة النشاط الإقتصادي إلى مدينة منفتحة ومتنوعة النشاط.

- إن التأريخ للمدينة بنموذجي بسكرة والأغواط يساهم في التعريف بالإرث الحضاري من خلال الكتابات التاريخية التي خصت المدن ودونت تاريخها وحاضرها على شكل صور نتمكن من إعادة تكوينها بالقراءات المعمقة التي تساهم بدورها في حفظ الذاكرة والإ رث الحضاري والتاريخي .

-الدور الإقتصادي للطرق الدينية والزوايا ودور النساء المرابطات في بناء الصورة الحضارية للجزائر من خلال نموذج المرابطة لالة زينب شيخة زاوية الهامل الرحمانية التي مثلت الإستثناء بكونها مرابطة إمرأة قدمت صورة مغايرة بعيدة عن النمطية متجددة ومبتكرة عن الصورة التقليدية للمرأة المحلية فهي كانت مثال للإنفتاح الفكري والثقافي، ورمز ديني فاعل في المحيط والديني ،الإقتصادي والإجتماعي من خلال الأعمال الخيرية التي كانت تقدمها للسكان والمكانة التي حظيت بها .

-الإرث الحضاري الإنساني للجزائر المتنوع مثلا في الجانب الديني برزت السياحة الدينية بالجزائر من خلال رحلات الحج إلى هيبون للمسيحيين لزيارة بقايا وآثار القديس أوغسطين وكذا الدور الدي قامت به الطريقة العيسوية التي كانت منذمجة إقتصاديا من خلال نشاطها الواسع والمميز في تقديم عروض حضرات دينية للسواح إذ كانت معلم للبلاد وعنصر ثابت في زيارات الزوار.

-ثراء وتنوع الموروث الثقافي للجزائر ساهم في الحفاظ على الهوية الجزائرية، وساهم في التأريخ المحلي للمدن والمؤسسات الدينية.

-يروز مدن جزائرية صحراوية وإحتواءها لمفاهيم إقتصادية جديدة كالسياحة الدينية والسياحة الصحية.

- الأهمية التاريخية للآثار العمرانية في الحفاظ على الهوية والموروث المحلي وتوثيقها ودورها في التعريف بتاريخ الجزائر.

-دور الكتابات التاريخية بتنوع أصنافها في التوثيق للآثار العمرانية والمحافظة عليها.

**التوصيات :**

-الإهتمام بالتاريخ المحلي الإجتماعي والإقتصادي والإسقاط التاريخي لإعادة إحياء المدن وتطوير إقتصادياتها.

– تشجيع الدراسات والأبحاث العلمية حول الموروث الثقافي للبلاد وخلق حركية فكرية في المجتمع.

- إعادة إحياء الدراسات التاريخية القديمة والقيام بتحقيقات علمية تاريخية.

- الإستفادة الإقتصادية من الإرث التاريخي المحلي برسم سياسات فاعلة للنهوض بالإقتصاد الوطني.

- المحافظة عل الآثار العمرانية كالقصور والمساجد والمدن القديمة التي تمثل الإرث الحضاري والفكري وتنشط الحركية الإقتصادية للبلاد.

- توعية المواطنين بضرورة المساهمة في الحفاظ على الموروث الثقافي والهوية الوطنية وترسيخ ثقافة الحس المدني لخدمة التاريخ والثقافة والمجتمع.

**قائمة المصادر**

1-Baraudon, Alfred ,Algérie Et Tunisie Récit De Voyage Et Etudes, Paris, Librairie Plon, 1893.

2-Blanc, Édouard .,Les Routes De L'Afrique Septentrionale Au Soudan, Paris, Société De Géographie, 1890.

3-Carteron, Charles., Voulez-Vous Connaître l'Algérie, Tous les Usages des Arabes, Leur Vie Intime et Extérieure, Ainsi Que Celle des Européens Dans Cette Colonie ? Macon, imprimerie de Romand, Paris, 1866.

4-Chalon, J., Souvenir D'Alger, Bruxelles, Librairie Classique, 1887.

5-Charmetant, Le Père, Les peuplades Kabyles et Les Tribus Nomades Du Sahara, Montréal, Des Presses à Vapeur De La Minerve, 1875.

6-Daumas.( M.Le lieutenant –Colonel)., Le Sahara Algérien Etudes Géographiques, Statistiques et Historique Sur La région Au Sud Des Etablissements Français, Paris, Langlois et Leclercq,/,.

7-Doumet–Adanson, Léon Gautier, Une Excursion Scientifique dans la Province de Constantine en 1880, Relation, Paris, Imprimé par la Bibliothèque Nationale, 1880.

8-Drouet Henri , Alger et le Sahel, Librairie Hachette et C$^{ie}$,Paris, 1887.

9-Paul Eudel, D'Alger à Bou-Saada, Illustrations de H. Eudel, Paris, Augustin Challamel éditeur , 1904.

10-Eudel, Paul., Hivernage en Algérie, Bibliothèque Nationale, Paris, 1909.

11-Fontarce ,. Rumet de, Armand, Souvenirs d'Afrique, Algérie, Tunisie. Mission officielle, journal de voyage, Bar-Sur-Seine, imprimerie V° C. Saillard, éditeur , 1896.

12-Fromentin, Eugène., Un Eté Dans Le Sahara, Paris, Librairie Plon, 1856.

13-Galland , Ch.De,. Excursion à bou-saada et m'sila, Paris, éditée par paul Ollendorff ,1899.

14-Gleyze, A., Géographie Elémentaire De L'Afrique Du Nord, (Maroc, Algérie, Tunisie), Marseille, Librairie Ferran Jeune, 1913.

15-Hurabielle, Jean (Abbé). , Au Pays du bleu, Biskra et les oasis environnantes, Paris,Augustin Challamel ,éditeur 1899.

16-Lallemand, Charles., L'ouest de L'Algérie, Réseaux Exploités par la Compagnie de L'ouest - Algérien Lignes de L'ouest-Algérien et De la c$^{ie}$ Franco-Algérienne, Paris, Challamel et c$^{ie}$ éditeurs, 1891.

17-Lavigerie, Le Cardinal,. Notice sur le pèlerinage de Notre-Dame d'Afrique à Alger, Alger, E.Gaudet , (2e éd. revue, corrigée et augmentée) ,1924.

18-Leroy, A.-L., Notes et impressions de voyage D'Alger à Tunis, avril 1884-avril 1885,Paris,Adolphe Jourdan ,libraire éditeur, 1886.

19-Maistre, Jules,. L'Europe et Le Sahara, Montpellier, Imprimerie De La Manufacture de La Charité, 1907.

20-Marcotte de Quivières, Ch., Deux ans en Afrique, Paris, Librairie Nouvelle,1855.

21-Masqueray, Émile,. Souvenirs et visions d'Afrique, E.Dentu éditeur, Paris, 1894.

22-Mercier, Ernest ,Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830),Tome 1,Paris, Ernest Leroux éditeur,1888.

23-Noël., Mme Marie, Pèlerinage à Hippone, Limoge, F.F.Ardant Frères, 1869.

24-Noêllat, Le Colonel,. L'Algérie En 1882, Paris, Librairie Militaire De J.Dumaine, 1882.

25-Odilon, Niel,. Géographie de l'Algérie,T1, (2e éd.)Böne, imprimerie Dagand,1876.

26-Piesse., Louis, Itinéraire De L'Algérie De La Tunisie Et De Tanger, Paris , Librairie Hachette Et c$^{ie}$, 1882.

27-Poujoulat, Jean-Joseph-François , Voyage en Algérie : études africaines, Paris, (Nouvelle édition) , Librairie d'éducation 1868.

28-Rozet et Carette, L'Algérie, L'Univers ou Histoire et Description De Tous Les Peuples, De Leurs Religions, Mœurs, Coutumes,Etc, paris, Firman didot frères, éditeurs, 1850.

29-Saint-Félix, René De,. Le Voyage de S.M L'Empreur NAPOLEON III En Algérie, Paris, Eug.Pick, De L'Isère, éditeur, 1865

30-Sibour, Léon, M. l'abbé,. Lettres sur la translation à Hippone de la relique de saint Augustin, Paris, La Bibliothèque Royale,1844 .

31-Souguenet, Léon,. La Route De Timmimoun Heures Algériennes, Bruxelles, Oscar Lamberty, éditeur, /,.

32-Trumelet, C., Les Français Dans Le Désert Journal D'une Expédition Aux Limites Du Sahara Algérien, Paris, Garnier Frères, Libraires-éditeurs, 1863.

33-Guide Pratiques Conty, Algérie-Tunisie, Paris, Administration De Guides Conty, 1901.